ناتاليا غنزبورغ

الشــعر والمجتمــع

بقلم عيسى الناعــوري

* * *

السيدة ناتاليا غنزبورغ،اديبة إيطالية ذات شهرة واسعة، فهي من اكبر الروائيين الايطاليين المعاصرين ، برواياتهـا العديدة التي من اشهرها : (جميع امسـاتنا ـ الطريـق المؤدية الى المدينة ـ لقد كان كذلك ـ فالنتينو ـ اصوات المساء ـ القاموس العائلي) وغيرها مما ترجم الى عـدد من اللغات الغربية ، ولقي اصداء كبيرة على اقلام النقاد وفي كبريات الصحف الايطالية . وهي الان في الخمسيـن من عمرها ، وتقيم في روما .

في عدد جريدة « كوريري ديلا سيرا » الميلانية الصادر يوم الثلاثاء الثاني من تشرين الاول ١٩٧٣ ، وعلى الصفحة الثالثة من الجريدة ـ وهي الصفحة الادبية في الصحف الإيطالية اليومية ـ كتبت السيدة غنزبورغ مقالا في ثلاثة اعمدة طويلة بعنوان « المجتمع والشعر » ، اثار لغطا كثيرا في الاوساط الادبية ، وتذمرا واحتجاجـات من قبل الشعراء بشكل خاص ، لان المقال كان اكثر من صفعة لهم وللشعر عامة . وقد رايت ان انقل افكارها هنا، مع بعض التعليقات العابرة ، للربط بين فقراته واجزائه ، لما اعتقده من رغبة الشعراء عندنا في معرفة ما يقال فـي الشعر في الغرب اليوم .

تستهل الكاتبة المقال بقولها :

« نحن اليوم نتجادل ونكتب كثيرا جدا حول الشعر، بمعناه المطلق ، اي باعتبار ان الشعر هو كل صيـغـة تصحيحية او تعبيرة خيالية : نتجادل ونكتب لكـي نسأل انفسنا : ما هـي واجبات الشعـراء ومسؤولياتهم فـي المجتمع الحاضر ؟ وماذا كان الشعراء ما يزالون ضروريين في المجتمع الحالي ، ام هم فائضون عن الحاجة ؟ ولكـي نتساءل كذلك عما اذا كان الشعر ما يزال اليوم حيا ، ام انه مات ؟ وما اذا كان حقا ما يقوله الكثيـرون من ان المستقبل سيـستغني عن الشعر استغناء تاما ؟»

وتضيف الكاتبة قائلة :

« وفي حين نكتب هذه الكلمة ، وننطق بها ، انتشر حول كلمة (الشعر) نوع من التعب والخجل ، بحيـث اصبحنا كلما نطقنا بها ينبغي ان نتغالب في انفسنا الخشية والخوف من السخرية ، كانما تذكرنا هذه الكلمة بشيء مضى زمانه ، او شيء مهلهل او شيء يثير فينا التقزز والغثيان لكراهية رائحته وطول استعماله . وكثـيـرة هي الكلمات التي نحس بانه ينبغي ان نفكر في معناهـا الحقيقي ، وننزع منها في كل مرة طلاء الزيف الـذي يغطيها . ومن هذه الكلمات لفظة « الشعر ».

وتمضي الكاتبة في حملتها العنيفة على الشعـر والشعراء ، فتقول :

« بالنسبة الى الشعر ، جميع الافكار التي تنمـو حول نفعه او عدم نفعه ، نشات من فكرة خاطئة هـي : ان الشعر يشبه اشياء اخرى نافعة او غير نافعة ، في حين ان الشعر ، في الواقع ، ليس شيئا نافعا او غير نافع ، وليس له غاية واضحة مرئيـة ، ولا يتشابه مـع اي شيء آخر ».

ولكن الكاتبة لا تترك الامر دون تفسير من جانبها ، ولذلك تستعرض الآراء والاقوال المختلفة في الشعر ، فتقول بين السخرية والجد :

« يقول البعض ان غاية الشعر هـي منح الجمال والسعادة للناس ، وتجميل الدنيا وتعزيتها ، ولهذا كان من الواجب على المجتمع العادل ان يدافع عن حريـة الشعراء ويحمي امتيازاتهم ، مثلمـا يحمي منتزها وطنيا من غزوة الاسمنت . ويقول آخرون ان غاية الشعر هي انارة الطريق امام الناس لكي يعرفوا عللهم وذنوبهـم ، اذ يبين وسائل العلاج والدواء ، وطرق الحصول عليها . فالانسانية تنشد العون ، ومن حقها ان تنشده في كل مكان . وما دام الشعراء يملكون امتياز الخلق والابـداع، فلا بد من ان يدفعوا ثمن هذا الامتياز، بان يكونوا نافعين. ان مثل هذا الامتياز لا يعطيهم الحق في الحرية ، او في اية امتيازات اخرى ، فليس من الضروري توفير الحماية لهم ، ولكن ينبغي الانتفاع بهم ».

سخرية مؤلمة هذه دون ريب . ولكن الكاتبة الناقمة على الشعر والشعراء لا تكتفي بها ، بل تمضي فـي تهكمها ، فتقول :

« ولكن اذا كان الشعر منتزها وطنيا ، يذهب المرء ليرى فيه الينابيع ، والالعاب المائية، والازهار، والحملان، والطواويس ، فعندئذ ينتج عن هذا مباشرة انه لا جدوى له في ازمنة الكوارث والنكبات ، كالزمن الذي نعيش فيه الان . فالواقع انه عندما يكون المرء مهموما وكئيبا نتيجة

لمصائب حقيقية وكبيرة ، لا يجد لديه رغبة في التنزه في الحدائق العامة ، ولا تجد انظاره المظلمة راحة في رؤية الينابيع او الازهار . فاذا نظرنا الى الشعر باعتباره نوعا او مكانا لاضاعة الوقت ، او ضربا من الترف او التسلية، تجلى لنا عندئذ بكل نقصه وعدم كفايته ، فعند المصائب الحقيقية والكبيرة لا يرغب الانسان في اضاعة الوقت، ولا يجد السلام من اية جهة ».

وتمضي الكاتبة في حملتها التهكمية اللاذعة فتقول:

« اما اذا كانت وظيفة الشعر ان يداوي امراضنا، او ان يحملنا مباشرة ، مثلما يحملنا القطار او السيارة ، على طرق صحيحة وجيدة من طرق المعرفة والصحة ، فلا بد لنا عندئذ من ان نقول انه في هذا اشد نقصا وعدم كفاية : ان الشعر لا يقدم الاقتراحات الواضحة الا نادرا جدا ، ولا تكون هذه الاقتراحات مباشرة ابدا ، ولا ذات قيمة عملية . انه لا ينقذنا من الخطأ ، ولا يشفي جراحنا ولا يسمو بذنوبنا ، ولا يقدم اية تعليمات محددة وذات قيمة حول الطرق اللازمة للتصرف في الكوارث والنكبات، الفردية منها والعالمية على السواء : فسواء على الصعيد الانساني ، ام الطبي ، ام الصيدلي ، ام السياسي ، ام الاقتصادي ، ام الجغرافي ، ام السياحي ، ليس في وسع الشعر ان يقدم للناس شيئا على الاطلاق » .

وتصل الكاتبة من ذلك كله الى النتيجة التالية :

« ولهذا كان من الخطأ ان نتصور الشعراء مثل انواع من النباتات او الطيور الثمينة او الرهيفة التلف ، والتي يبدو من المناسب تربيتها في حاضنات او اوعية ، مع ضروب من المعاملات الخاصة ، والتدفئة الخفية، والعناية اليقظة ، والاهتمام الحذر المتحوط . ومن الخطأ كذلك ان نتصورهم انواعا من النباتات ، او الحيوانات البيتية التي ننتظر منها منافع مباشرة وملموسة ، كالطحين ، والحليب ، والبيض ، والصوف ، او نتخيلهم كالمصابيح او الدهن ، او كالامشاط ، او الادوية والعقاقير المضادة للالتهابات ، او كوسائل المواصلات . ان الشعراء ليسوا من هذا كله في شيء».

وكأنما تتلذذ الكاتبة بسخريتها هذه ، وبمقارنتها بين الشعراء والحبوب ، او الدجاج ، والبقر ، والنعاج وغيرها من البهائم التي تفيد في الحياة او لا تفيد ، ولذلك نراها تستمر في التهكم الى حد الاشباع، بالنسبة اليها ، والى حد الاملال، بالنسبة الى القارىء. فالقارىء انما يستمرىء النكتة البارعة تجيء سريعة خاطفة ، ولكنه ينفر منها كارها اذا اشبعت ومغطت ، كما فعلت السيدة غنزبورغ في حملتها هذه الطويلة العريضة على الشعر والشعراء .

ومهما يكن من أمر ، فنحن سنمضي معها لنرى الى اين سيصل بها التهكم والسخرية .

بعد كل ما تقدم تمضي السيدة غنزبورغ فتقول :

« هوية النفع وعدم النفع يستطيع المجتمع ان يتطلبها ، او يمنحها ، لـــدى الطبقات الاجتماعية . والشعراء لا يؤلفون طبقة اجتماعية . وهم في بعض الاحيان يكسبون المال من اعمالهم الشعرية ، وفي احيان اخرى لا يكسبون شيئا ، ولكي يعيشوا عليهم ان ينصرفوا الى نشاطات او مهن غريبة بالنسبة الى طبيعتهم كشعراء ، وبعيدة عن الشعر . وعلى كل حال ، فان ما يصيبهم موكول الى الصدفة : فهو من حسن الحظ او من سوئه ، ولا يعني شيئا بالنسبة الى عملهم الشعري وطبيعتهم . وسواء انال الشعراء شيئا من المال ام لم ينالوا ، فليس الشعر مهنة لهم ، وليس هو بالخدمة الاجتماعية او العامة ، بالنسبة الى المجتمع . وليس من السهل تحديده ، الا انه ، بكل تأكيد ، ليس خدمة اجتماعية او عامة ».

وعلى هذه النقطة تركز الكاتبة ، فتمضي في تأكيداتها السابقة قائلة :

« في الحقيقة انه ليس من يدري ، على وجه التحديد ، من هم الشعراء . ومن السذاجة المفرطة ان يحدد «الشعراء» بانهم الذين يقدمون اعمالا ذات صفة شعرية . وليس فقط من السذاجة المفرطة ، بل انه لمن الزيف كذلك . واصح من ذلك ان الشعر يبدو كحالة خاصة من حالات الروح ، ليست نادرة ولا ثمينة ، بمعنى انها قد تكمن في اشخاص ابعد ما يكونون عن التوقع . انه حالة من حالات الروح ينشأ عنها احيانا بعض الاعمال الشعرية ، واحيانا لا ينشأ عنها ، ولن ينشأ شيء على الاطلاق . فاذا لم يكن في الحسبان ان الشعر يمكن ان يكون حالة خاصة من حالات الروح ، لا ينشأ عنها احيانا ـ بل غالبا ـ ولن ينشأ عنها شيء ، واذا لم يكن في الحسبان ان الشعراء لا يدري احد من هم ، ولا اين هم ، فكل جدال حول الشعر سيظل خاطئا زائفا . وليس هذا فقط ، بل ان كل جدال حول الحالة الانسانية يظل خاطئا وزائفا » .

ويطول الحديث بالكاتبة على هذه الوتيرة ، وفيه الكثير من تكرار الصور والافكار بتعمد واصرار ، امعانا منها في الحملة على الشعر والشعراء . وتصل في النتيجة الى القرار التالي :

« عندما نخشى ان يموت الشعر ، فلسنا نخشى ان يموت شيء كنا به اوفر غنى ، او اكثر سعادة، او افضل حالا ... »

وتضيف بعد ذلك اسماء الشعراء الايطاليين الذين تؤمن بانهم « الشعراء الحقيقيون الكبار في زماننا » ، وهم سبعة من الشعراء ، بعضهم موتى وبعضهم احياء . وتقول : « امام هؤلاء وحدهم يخيل الي انني في حضرة العظمة . ولطالما تساءلت ان كانت في اعمالهم الادبية دلالة مشتركة ، غير انني لم اجد شيئا من ذلك » .

ولكن السبعة الذين ترى فيهم ناتاليا غنزبورغ امثلة العظمة الحقة من الشعراء الايطاليين ، ليسوا محل اجماع من اهل الادب في ايطاليا ، فبعضهم ليسوا ، في الحقيقة ، من الشعراء الكبار حقا ، ولكن بعضهم يمثلون

قمة الشعر الايطالي ، ولهم مكانتهم في الغرب كله .

على كل حال ، هذه خلاصة مقال الكاتبة الروائية السيدة ناتاليا غنزبورغ في عدد جريدة (كوريـــري ديلا سيرا) الصادر في ٢/١٠/١٩٧٢ . ولست ادري ان كان احدمن الشعراء قد رد عليها ام لا ، فقد عدت بعد ذلك من ايطاليا ، وانقطعت عني الصحف الايطالية ، ومن ضمنها « الكوريري » . ولكنني اتساءل : هل كانت الكاتبة الكبيرة جادة في ما كتبته عن الشعر والشعراء في مقالها هذا ؟ واذا كانت جادة فعلا ، فماذا في مقالها التهكمي هذا مما لا ينطبق على الادب برمته : الشعر منه والنثر على السواء ، والقصة ، والرواية ، والنقدالادبي ، والبحث منه معا ؟ واذا كان الشعر قد اصبح تافها الى هذا الحد الذي انزلته اليه السيدة غنزبورغ ، فهل نزلت كذلك الى الدرك نفسه الوان الادب وفنونه الاخرى ؟ واذا كان الامر كذلك ، فما هو اذن تقدير الروايات العديدة ، والاعمال المسرحية ، التي كتبتها السيدة غنزبورغ نفسها ، والتي اشتهرت بها كما اشتهر الشعراء الكبار بشعرهم ؟ وهل يستطيع المستقبل ان يستغني عن الادب بمجموعه ، كما تقول السيدة انه سيستغنى عن الشعر استغناءاتاما ؟

على ان مقال السيدة غنزبورغ له في الحقيقـــة مبرراته : فالواقع ان الشعر اليوم ، في العالم كله ، قد فقد الكثير من مواقعه ـ التي كانت من قبل منيعـة حصينة ، والتي كان فيها ارقى الفنون كلها ـ واصبح مثار تساؤلات كثيرة : تساؤلات حول مفاهيمه العالية ، ومعناه ، ومراميه ، ومذاهبه التي لم يعد يحصرها عد ، واساليبه ، ووسائله وادواته الفنية ، ومن وراء ذلـــك كله حول نفعه او عدم نفعه المجتمع .

وفي ندوة ادبية عقدتها السيدة الشاعرة الايطالية الصديقة ، لينا انجوليتي ، في منزلها في ميلانو فـي ٢٩/٩/١٩٧٢ ، ودعت اليها ثمانية من اصدقائها الادباء والاديبات لتتعشى اليوم ، دار حديث طويل حول الشعر ومفهومه الحاضر . لقد اردت ان اعرف رأيهم في الشعر ، تساؤلهم عما يفهمونه بالشعر اليوم . ودار نقاش استغرق اكثر من ساعة ، وتفرع ، وتنوع ، وخرجنا منه جميعا متشككين في قيمة الشعر الحاضر ، ومتفرقين في الراي حول مفاهيمه واساليبه . ولكن الاجماع كان على ان الشعر ، بكثرة ممارسه وتغيراته ، قد اصبح قليل الاهمية في المجتمع المعاصر ، وان الشعراء الحقيقيين الذين يقرأ لهم القراء باهتمام ، اصبحوا نادرين في العالم كله .

الشعر اليوم في الغرب اصبح ضربا من الغموض والتعقيد ، ومن الرموز التي لا ندري ان كان الشعــراء انفسهم يفهمونها ، والتي قد تعني اشياء كثيرة دون ان تعني شيئا على الاطلاق . لقد اصبح الشاعر يكتب لنفسه لا للقراء ، ولكنه يصر على انه يكتب للقراء ... وما دام الشاعر يعيش عالمه وحده ، ويكتب الشعر لنفسه ، فما حاجة القراء به وبشعره ؟

اذكر بهذه المناسبة ان الشاعر المرحوم صلاح الاسير كان قد نشر في مجـــلة « الاديب » عام ١٩٤٠ ـ فيما اذكر ـ ابياتا رمزية يقول فيها :

تقول : ترى نلتقــي على خــاطر ازرق
شظاياه غور القــرار من النغم المهــرق

وحاولت كثيرا ، وحاولت امدا طويلا ، ان افهــم هذين البيتين ، ولكن ذلك لم يكن ممكنا . وشاءت الصدف ان التقي بصلاح الاسير في اروقة فندق بلودان الكبير ، ايام انعقاد مؤتمر الادباء العرب الثاني هناك ، عــــام ١٩٥٦ ـ اي بعد ظهور تلك الابيات الاسيرية في الاديب بستة عشر عاما ـ فامسكت بتلابيب صلاح وقلت لــه امام المرحوم الدكتور سيف الدين زيد الكيلاني ، والشاعر ابي سلمى : « لقد كنت ابحث عنك منذ ستة عشر عاما لكي تفسر لي بعض شعرك » : ثم اسمعته البيتين ، وقلت : « ماذا تعني « بخاطرك الازرق » ، الذي له « شظايا » والذي « شظاياه غور القرار من نغم مهرق » ؟

فضحك صلاح ، وبدلا من الشرح قال : « هذا كان زمان !... » فقلت : « او لم تكن تقصد معنى معينـــا بهذين البيتين ؟ » ولم يقل صلاح شيئا ، بل تركنـــا نضحك واختفى في الممرات الطويلة ...

هذه الحقيقة تبرر مقال السيدة غنزبورغ الى حـد ما ، ولكنها لا تبرر مقارنتها بين الشعر والدقيــق ، والبيض ، والحليب ، ، والصوف ، او بين الشعــراء والبقر ، او الخراف ، او الدجاج ، او ما الى ذلــك . فحين ينزل الشعر الى مثل هذه المقارنة ، ويصبح مثار تساؤل عما اذا كانت له مثل فائدة الطحين والحليـــب والصوف المجتمع ، فان المقارنة عندئذ تصبح ضربـا من التحقير الذي ينبغي ان يصيب الادب كله ، وليس الشعر وحده ، ومن ذلك جميع اعمال الروائية الايطالية الكبيرة ناتاليا غنزبورغ ، فالادب كله ـ وادبها من ضمنه ـ لا يقدم المجتمع دقيقا ، ولا حليبا ، ولا بيضا ، ولا صوفا ، كما تقدم البهائم والحبوب .

صحيح ان الشعر كان في زمن ما ارقى الفنـــون الجميلة كلها ، لم تتخل عن مكانته هذه في العهد الاخير للرواية والنقد بشكل خاص ، ولكن هذا لا يعني بـاية حال ان الشعر قد اصبح تافها ، ويستحق ان يعيش المستـقبل من دونه تماما .

على كل حال ، قد لا تكون السيدة غنزبورغ ارادت الحكم باعدام الشعر والشعراء نهائيا . قد تكون ارادت ان تقرع لهم ناقوس الخطر ، وتقول لهم : « هذا مصيركم ومصير الشعر ان ظللتم سائرين في دروب التعقيــد والغموض ، والتنطع في الاساليب الشعرية الملتويـة النابية عن ذوق المجتمع » .

فاذا كان هذا ما رمت اليه الكاتبة ، فنحن معها الى حد كبير ، دون الدخول في التفاصيل الكثيرة التي دخلت هي فيها بجراة وصراحة كبيرتين .

عمان ـ الاردن

عيسى الناعوري

طابع العصر

أتألم الغيظ مـا استطعت وألمع   كم مـــن الصبر حنظلا أتجرع
أوتهدل على انطفـــاء جمـــر   بابتسام ! لذا المحـــال الممنع
قـد تحلمت حـين سلت حليمـا   وتردبت غير ثوبـــي المرقـــع
وتشجعت أخـدع النـاس كيمـا   يجهلوا السر مـن كياني المزعزع
مسمع معشري نصائح حبـــر   فيلسوف ، فليت نفسي تسمع
كالألـم مـر مـا أعاني والكبت   لأزيـــز قلبـــي لـــه يتقطـــع
ولكـأس الحياة فـي حلقي الشجوج صـــاب مذاقـــه ليس يبلـــع
أحتسيـــه ولا أفــــوه بلفظ   ولئـــن كنـت غاليـــا أتهـــوع
آنسلـــى تعلـــلا بصبـــاح   عن قريب قـد يستهل فيسطع
يرسل النـــور دافقـــا وخوا   شي الليل فيه سحائب تتقشع
والليالـــي تمر خلـف الليالـــي   وأنـا تحتهـا شريـد مضيـــع
أرقب الصبح ! خيبتـــاه لصاد   ينشد الري مـن سراب بلقـــع
والصباح المنشى يكمـن فـي   نفسي ولكن أفر منه وأفزع
لـم لا أجيـــه الأباطيل بالحق   وإن أرمض النفـــوس وأوجـــع
لم أطري الوهـاد أجمـل منهـا   ربـــوات يزهزهـــا . تتضوع
لـــم أطري اللئيـم أعرف عنـه   كـل خـزي ، لكن لـه أتصنـع
لـــم يغدو الرعديد نهبا لـدى   الخشــى بــلاءه وهــو ضفدع
لـــم أطري الشوهاء أخدع منهـا   قلـب ورهـاء بالمـلاح يخـدع
وأرى الفجوة السحيقة ما بين لفظـ   ـي وبيـــن قولـــي فأفجـــع
أتألم الغيظ ما رأيت أخـا الكظم   سعيـــدا بغيظـــه حين يقمـــع
إن فـــي عمـــق غـــوره جمــرات   هـو أدرى بنارهـا حين تلـذع
ويوقد العروق فـي الرأس حتى   أوشكت مـن حميمهـا تتصدع
وارتـداد الأنفاس في الصدر تهتا   ج كمـوج فـي عيلـم يتدفـع
طابـع العصر ، وطبـه ، جعل النا   س عبيدا كآلـة فـي المصنـع
تخذ الحرص والمـداراة والكبت   قلاعـــا تصـد مـا يتوقـــع
ورأى الكيد والمداجاة والـــدس   رماحـا لـدى الفنالـم تشرع
الصريع الصدوق صيـد مبـاح   واللئيـم المحتـال شاك مـدرع
ولقـد تصبـح الذيـول رؤوسا   حـين تجثـو لباطش يترفـع
يعتلـي وغدهـا فيصبح نجمـا   ويـــذاد الأصيل بغيا ويمنـع
ولقـد تصبـح الرؤوس ذيـــولا   إذ تريح التقـــاب لا تتبرقـع
رفعت صوتهـا فلاقت دجـى السجن رهيبـا لأنهـا لـم تركـع
فتراني جرعت صبـــري لرتـا   د نجاتـي ، ومـا أراه سينجـع

كلية اللغة العربية ـ الرياض   محمد رجب البيومي

الدكتور طه حسين

بقلم راضي حكيم

* * *

في صباح الاحد الموافق ٢٨ من اكتوبر من هذا العام ، وبالتحديد في الساعة السابعة والنصف صباحا ، رحل طه حسين في آخر رحلة له ، والرحلة هذه المرة ليست للراحة والاستجمام في تلك البقعة الجميلة التي اعتاد عميد الادب العربي أن يزورها كل عام ... في ايطاليا .

ولكن الرحلة هذه المرة ، وهي المرة الاخيرة رحلة الى دار الخلود ، التي هي اجمل من اجمل بقعة هنا ... هناك ما لم تره عين وما لم تسمع بـه الاذن ... هناك يستريح استاذنا راحة تامة .. ويستجم استجماما ابديا .. بعد ان ادى دوره العظيم في حياتنا الادبية والثقافية .

رحل طه حسين إلى عالم البقاء .. بعد ان قضى بين ظهرانينا في عالم الفناء .. قرابة اربعة وثمانين عاما .. كانت حياته غنية حافلة .. عاشها كلها مناضلا ومجاهدا بالفكر والقلم ... وكانت في جملتها تنبيء بان صاحبها كان رائدا متميزا .. ومفكرا متفردا ... بل نقول نسيج وحده .

مولده

ولد طه حسين في الرابع عشر من شهر نوفمبر عام ١٨٨٩ بقرية الكيلو والتي تبعد كيلومترا واحدا من مغاغة بمحافظة المنيا بصعيد مصر ... ولعله امتاز بما امتاز به غيره من ابناء الصعيد ... من قوة شكيمة ، وتحمل صعاب ... فكان كالنيل في قوته .. وجريانه .. ولدفقه وكما امد النيل ارض مصر الحبيبة بالماء فبعث فيها الحياة ... كذلك فعل طه حسين ابن النيل فامد ابناء مصر بالكلمة الحرة والفكر الخلاق .. فبعث في حياتهم الخصوبة والتجدد والاثمار ...

ولم يولد طه حسين في قصر من القصور .. ولا هو اكل بملعقة من الذهب ... ولكنه ولد فقيرا .. ولكنه ايضا لم يرض بالفقر .. وحارب الفقر بكل صوره .. فقر الثقافة وفقر المال .. فناضل وجاهد حتى اصبح غير ما كان عليه في حياته الاولى .. ولعله في ذلك قد سلك نفس الطريق الذي سلكه زميل كفاح له هو العقاد ...

وافقد طه حسين بصره في الثامنة من عمره ... وذهب الى كتاب القرية وهناك حفظ القرآن الكريم ...

رحلة الدرس

انتقل الدكتور طه حسين بعد ذلك الى القاهرة وفي عام ١٩٠٢ دخل الازهر الشريف ... وانضم الى حلقات الدرس به ، وكان من اساتذته الشيخ الامام محمد عبده والشيخ سيد المرصفي .. ولقد تأثر بهما ولا سيما باستاذه المرصفي ..

وفي عام ١٩٠٩ ترك الازهر والتحق بالقسم الفرنسي بالجامعة الاهلية (جامعة القاهرة الآن) ، وفي عام ١٩١٣ سافر الى باريس في بعثة للدراسة .. ولكن الحرب نشبت آنذاك مما اضطره للعودة الى مصر ، وبعد ثلاث سنوات اخرى وبالتحديد في عام ١٩١٦ عاد مرة اخرى الى باريس ليستكمل دراسته . فاستكملها في ثلاث سنوات آخر .. وحصل من هناك على درجة الدكتوراه في فلسفة ابن خلدون الاجتماعية .

ولا بد من القول بان الدكتور طه حسين قد تأثر في حياته الدراسية الاولى بالشيخ محمد عبده وقاسم امين ولطفي السيد ، استاذ الجيل . ولعل تأثره بهم قد بدا واضحا في حياة طه حسين الفكرية من بعد .. واذا كان في السنين التي قضاها بالازهر قد درس الادب العربي القديم دراسة وافية ، فانه عندما ذهب الى باريس قد استفاد منها طرقا حديثة المنهج والبحث .. وتأثر بديكارت وكونت وغيرهما ... وهذه الطرق الحديثة في البحث قد طبقها في دراساته فيما بعد وعلى الاخص في « حديث الاربعاء » و « في الشعر الجاهلي » ...

تلك كانت رحلة الدراسة ، ونمضي لنعرف شيئا من حياته الزاخرة .

الاستاذ العميد

في عام ١٩٣١ عين الدكتور طه حسين عميدا لكلية الاداب بجامعة القاهرة ... فاهتم بمناهج البحث والدراسة فيها ... وادخل فيها اللغتين اللاتينية واليونانية ، وهاتان اللغتان تدرسان بالكلية منذ ذلك الحين .. ولقد كان للاستاذ الدكتور اهتمام خاص بالادب اليوناني فترجم ناقلا عنه الكثير .. مما لم تكن تعرفه الاوساط الادبية في ذلك الوقت ، ذلك التراث اليوناني المتمثل في اعمال اسخليوس وسوفوكليس ويوربيدز وغيرهم ... هذا التراث الذي لا يمكن لاديب او مثقف أن يكون بدونه .. أو بدون دراسته . وكانت الفترة التي قضاها عميدا للكلية على قصرها ذات اثر واضح جاءت بثمار وفيرة فيما بعد .. وما نزال نجني ثمارها ...

الاستاذ الوزير

وفي عام ١٩٥٠ عين الدكتور طه حسين وزيرا للمعارف . وعندما طلبوا اليه أن يقسم اليمين الدستورية قبل ان يزاول عمله بالوزارة .. رفض الا بعد أن يصدر قرار بمجانية التعليم ... ويبدو أن هذا المطلب قد جعل

المسؤولين في ذلك الحين في ورطة ... ولكنهم امام اصراره وعناده ... اصدروا قرارا بمجانية التعليم .. ووقعها مارس الوزير اعماله . وكان من ابرز اعماله هو هذا القرار الذي جعل التعليم كالماء والهواء حقا لكل الناس ... فصار التعليم مجانا لاول مرة في تاريخ مصر الحديث . وبذلك انفتح الباب الموصود امام كثير من ابناء الوطن ممن كان الفقر يحول دون تعلمهم ... ومنذ ذلك الحين أصبح التعليم حقا مباحا لكل قادر عليه بالجهد والعرق ، لا بالجاه والمال ..

ولئن لم يكن لطه حسين غير هذه المأثرة ، لكانت وحدها كافية لاحتلاله المكانة الكبيرة في القلوب والنفوس.

حبه للصحافة

كانت الصحافة احدى الوسائل التي استخدمها طه حسين لكي يبلغ افكاره للناس ... ويعرض عليهم آراءه ... وكان على صلة دائمة بها .. فقد تتلمذ على يد لطفي السيد في جريدة « الجريدة » .. وهو ما يزال بعد طالبا بالازهر عام ١٩٠٧ . وبعدها عمل في جريدة « السواء » التي راس تحريرها الشيخ عبد العزيز جاويش، ثم واصل الكتابة في جريدة « السفور » ... وصحيفة « السياسة» التي كان هو نفسه واحدا من أسرة تحريرها . وفي عام ١٩٢٦ انتقل الى جريدة « السياسة الاسبوعية » وفي عام ١٩٣٢ رأس تحرير جريدة « كوكب الشرق » . وفي عام ١٩٦٠ رأس تحرير جريدة « الجمهورية » مع بعض زملاء له .. وظل فيها ما يقرب من اربعة اعوام .

ويتضح من هذا كله ان الدكتور طه حسين كان على صلة دائمة بالصحافة ، يحبها ويهواها ... ويكتب فيها .. ويشارك في تحريرها .. ولم يمتنع عن الكتابة اليها والمشاركة في تحريرها الا في سنوات حياته الاخيرة حينما اعتلت صحته ، ولم تكن تسمح له بتحمل متاعبها ..

ولم يكن هذا غريبا ، فالصحافة هي المنبر الوحيد، الذي يستطيع المرء عن طريقه ان يبلغ افكاره الناس ... كل الناس .

مؤلفاته

للدكتور طه حسين عشرات الكتب في مختلف انواع الثقافة والفكر ، من دراسات وتراجم ونقد وغيره ... ولقد صدرت جميعها فيما بين عامي ١٩١٤ و١٩٦٤ .

من بين ترجماته ترجمات لمسرحيات يونانية .. ومن اهم الدراسات حديث الاربعاء ، في الادب الجاهلي، في ذكرى ابي العلاء . وغير ذلك ودراسته « في الشعر الجاهلي » اثارت حولها وقت صدورها كثيرا من الجدل والحوار ... لانه استخدم فيها منهجا حديثا واثبت ان الشعر الجاهلي بمعظمه منحول ...

ولعل اشهر مؤلفاته كتاب « الايام » الذي صدر في اجزاء ثلاثة ، وهذه الثلاثية هي قصة حياة عميد الادب نفسه ، ولم تكن هذه هي القصة الوحيدة التي كتبها بل كتب ايضا ، شجرة البؤس ، احلام شهرزاد ، المعذبون في الارض ، دعاء الكروان ، الحب الضائع ، على هامش السيرة ، ظهور الاسلام ..

وثمة دراسة هامة اصدرها طه حسين هي « مستقبل الثقافة في مصر » وهذه الدراسة تبين بوضوح مدى تقدم الثقافة او تأخرها في مصر او لعلها ترمومتر حياتنا الثقافية .

والحق ان كلا من هذه الدراسات او القصص يحتاج الى وقفة خاصة بل وقفات ، نرجو ان نحقق بعضها مستقبلا .

ماذا في كتبه ؟

وكتابات طه حسين تضعه في مصاف الرواد والمفكرين ، في العالم العربي ، بل هو وحيد عصره بلا منازع ... وهذه الكتابات تضعه ايضا جنبا الى جنب مع ادباء عالميين ... هو لا يقل عنهم شيئا ... وهم لا يزيدون عنه شيئا ...

امتازت كتابات طه حسين بين ما امتازت بالتحرر ودعوته الى التفتح ، وربط القديم بالحديث ، فليس ثمة فائدة فيما كتبه الاجداد الا بما يكتبه الاحفاد ، وليس من فائدة فيما يكتبه الاحفاد الا بمزجه بما كتبه الاجداد . فهو لم يترك القديم لقدمه .. ولم يأخذ بالجديد لجدته ، بل يترك ما لا يفيد .. ويأخذ ما يفيد بغض النظر عن كونه قديما او جديدا ..

وبهذا اقام استاذنا جسرا بين القديم والحديث .. وبين الشرق والغرب ، واوجد حوارا بينهما ما يزال قائما حتى اليوم ..

لقد اخذ بيد الكثيرين الى الغرب الحديث بافكاره وآرائه ... واستطاع ان يحطم حاجز خوفهم من كل جديد ... ويقضي على تخوفهم الذي كاد ان يؤدي بهم الى التزمت او الجمود ... وكانت وسائله الى ذلك هو نقل التراث الغربي ، اليوناني والفرنسي ، واستخدام مناهج حديثة لم تكن معروفة من قبل ..

ومن ما امتازت به كتابات طه حسين الحرية في الرأي .. والحرية في التعبير عما يريد كما يريد .. دون قيد .. لقد احب طه حسين حرية المعرفة ، تلك التي ـ كما يقول هو نفسه ـ توصل الى السمو في الهدف والنبل في الغاية ، والتي تحقق آمال الناس جميعا فيما يهدفون اليه ، املا يبنى ولا يهدم .

هذا قليل من كثير امتازت به كتابات وافكار طه حسين ... وكل ميزة في كتاباته هي الاخرى في حاجة الى وقفة ووقفات .

العميـد

عميد الادب العربي وفقيد الامة العربية المغفور له الدكتور طه حسين

عامر محمد بحيري

* * *

هـذه ادمعـي عليـك سجام   يا عميد الهدى .. عليـك السلام
وهـداك الـذي بعثـت بـه الجيـل .. شعـاع يقـوى بـه الالهـام
كنت شمس الضحى .. تفيض على   الكون سناها .. وان حواك الظلام
وحملـت الالام .. فـوق الثمـا نين .. وحـتك المجاهـد .. الالام
ما راى الناس مثـل صبرك صبـرا   يصدع الراسيات .. فهي حطام
ما راى الناس مثـل عزمـك عزمـا   حين يدعوك بالامور اهتمام
مـا راى الناس مثـل اخلاك الخصـم .. اذا ثـار العقـول احتدام
كنت للفكر ثـورة .. يقبس الثوار منهـا .. ومـا عليهم مـلام
كنـت للظامئيـن مـورد فضـل   سايغ .. لا يخف عنـه الزحام
كنت للكـل رائـدا .. لا لفـرق   دون فرق (1) وانـت نعم الامـام
يزدهي العلم والثقافة .. فـي دا   رك .. نـورا .. ويبهـر الاعـلام
نهضة تشمـل البلاد .. وفيهـا   لـك مـن كـل جانب .. اسهـام
يـا عميـد البيان .. في كـل عصر   لـك منـا الاعـزاز ، والاكـرام

نشاطـات اخـرى

عاش طـه حسين حيـاة زاخـرة نشطة مليئـة بالعمـل والعرق والكفاح ، فالى جانب مـا تقلده مـن مناصب ، الاستاذ والعميد والوزير والصحافي ، نجده يشغل نفسه بالتاليف فيترك عشرات الكتب القيمة في الفكر والثقافـة بعـد رحيله ...

الى جانب ذلك فقد راس المجمع اللغـوي بالقاهرة لمدة عشرين عاما ، وحتى لحظة وفاته ، وكان الى جانب ذلك كله عضوا مؤسسـا في المجلس الاعلى للفنون والآداب.

تكـريـم

الدكتور طه حسين اول اديـب في مصر تهديـه الدولـة جائزتها التقديرية وقلادة النيل . وقبيل رحيلـه بيومين اهدته الامم المتحدة جائزتها تكريما لـه عـلى مـا اداه من دور في ميدان الحقوق الانسانية ... بيد ان القدر لـم يمهله ليتسلمها .. ليس هذا فقط بـل ان عددا مـن الجامعات الاوروبية قد اهدته الدكتوراه الفخرية ..

والواقع ان كل ما قدم للرجل تكريما لـه قليل اذا قيس بما قدمه للحضارة العربية والانسانية .. ولعـل اعظم تكريم يمكن ان نكرمه به هو ان نقرا كتبه ونفهمها.. وندرس آراءه ونحققها .. ونتمثل مبادئـه ونعيشها .. وستظل كتبه بما حوت .. وستبقى آراءه بمـا شملت ، نبعا فياضا نستقي منه وتستقي منه اجيال بعدنا ..

ولقد كنت اعرف قبل ان اخط حرفا واحـدا ان الرجل عظيم ، اعظم من كل كلام يقـال عنـه .. وكنت اعرف مسبقا ان الكلام عاجز عن ان يتحدث عـن مآثـر الرجل وافضاله ...

ولكن لعل هذا يريح النفس اكثر من الصمت .. او لعله لمحة وفاء لاستاذ عظيم .. مع اني اعلم علـم اليقين باني مهما كنت وفيا ... فليس في وسعـي ان اقـدم لاستاذي قليلا من الكثير الذي قدمه ،

وبعد هل مات طه حسين . لا اعتقد . انه لم يمت. انه حي وسيظل حيا بيننا بافكـاره ومبادئـه ... لقـد فاضت روحه الى خالقها .. ولكن روحه ما تـزال ايضا فيما كتب من مؤلفات .. وفيما نادى به من مبادىء ... فليس كل الذين يموتون يموتون حقا .. ولكـن بعضهم ، وطه حسين واحد منهم ، باق باعماله وآثاره ... فـان شئتم ان تستمعوا الى صوته اقرءوا كتبه .. وان اردتم ان تعرفوا مبادئه ، ارجعـوا اليهـا ... واذا رغبتـم ان تكرموه فعيشوا حياتكم كمـا ارادكم ان تعيشوها ... وكما عاشها هو ... وقفوا على مبادئه ومثله ففيها خـير معين لكم وانتم في رحلة الحياة ..

لقد رحل عنا الدكتور طه حسين بعد ان ادى واجبه نحونا ، بل اكثر .. ولم يبق علينا الا تؤدي واجبنا نحوه.

القاهـرة   راضي حكيم

يتسامى لمجده .. المتنبي   وابن برد ، ويطمح الخيام
فاخرت مصر ، والعروبة جمعا   ء .. باسلوبك الذي لا يرام
اين منه ابو هلال (٢) قديما   وابن بحر .. والمنشئون العظام
وحملت الوسام .. من ام القر   ب .. فهل زاد في علاك الوسام
كيف تنسى لك الصحائف ما امـ   ـليت .. حتى لتعجز الاقلام
ومنحت « الايام » منك كتابا   هو اغلى ما ابقت الايام
ونفحت الورى « على هامش السيرة » .. ما تقتدى به الافهام
« وحديثا للاربعاء » .. جميلا   وحوارا « للحب » .. فيه هيام
« ودعاء الكروان » في هدأة الليل .. هتافا سرت له انغام
و « ظهور الاسلام » .. تعرضه للنـ   ـاس .. رسما .. يجلى به الاسلام
وحديث « المعذبين على الار   ض » .. وله في الورى احكام
ثم بشرى « بوعده الحق » .. للنا   س .. ومنه القضاء والابرام
صفحات .. مخلدات على الدهر .. وغيث ينشق عنه الغمام

ايها الخالد .. الذي لقي المو   ت .. ليحيى .. وفي الخلود الدوام
عشت حتى فلتت مولاك يخشا   ك .. فللموت رجعة واحتشام
لم حل القضاء .. فالجسم فان   وعلى روحك الفناء .. حرام
فيسير ان تخلد الروح منا   وعسير ان تخلد الاجسام
هذه السجاء تسمو .. وهذي   يحتويها بعد الممات الرغام
« تعب كلها الحياة » .. فما يعجب قولا .. الا يجيء الحمام
« صاح هذي قبورنا .. تملأ الرحب » .. فاين القصور ، والاكام (٣)
« خفف الوطء .. ما اظن اديم الارض » .. الا عبا خلقته الرمام
خاطر من ابي العلاء حزين   وعصي .. له يعود الانسام

ايها الراحل .. الذي هجر الدا   ر .. وفيها مع الصدو التحام
هذه مصر .. مثلما كنت ترجو   ها .. على الدهر امة لا تضام
رفضت ان تعيش بالذل يوما   فانبرى للقتال .. جيش لهام (٤)
واستردت سيناء .. فهي براح   ركزت في رماله الاعلام
حين صدت بباسها فرق الاعداء .. فروا كما تفر النعام
وتلاقى ابناء مصر .. على الحب .. فلم تبق فرقة او خصام
وسيعلو بناء مصر .. على الشهب .. وتزهو حضارة ، ووئام
لم تنم منذ ان هتفت بمصر   ولمصر جهودها ، والالهام
فلتنم هادئا .. فقد نهض الجيش .. وفي الصدر « انور » المقدام (٥)
وبدا في الوجود .. فجر جديد   كله للحمى .. رضى وابتسام

ايه « طه » .. وكيف يلقاك اليو   م مقالي ؟ وهل يؤدي الكلام
كان لي مجلس اليك .. ولكن   ماطلتني الشهور ، والاعوام
طال حزني عليك بعدا وقربا   وشفاني الاقدام ، والاحجام
غير اني جعلت مجلسك .. القلب .. وفي القلب مجلس ومقام
كان شعري لك ابتداء لامري   وهو اليوم .. اذ ختمت .. الختام

---

(١) الفرق بكسر الفاء . القسم والطائفة من كل شيء ، (٢) ابو هلال العسكري وعمرو بن بحر الجاحظ وكان الفقيد يشابههما بقوة اسلوبه وأسر الفاظه ومعانيه . (٣) الاكام . الحصون، مفردها اكم بضمتين .. والاشارة الى ابيات ابي العلاء المعري في مرثيته المعروفة ؛ (٤) اللهام . الكثير الذي يلتهم كل شيء . (٥) الرئيس العربي البطل محمد انور السادات ..

مصر الجديدة   عامر محمد بحيري

يوم الثلاثاء

اعود مرة اخرى الى تدوين مذكراتي بعد انقطاع لا اعرف كم استغرق من الوقت . وعودتي الى القلم والورق حاجة لا مرد لها . لقد مرت بي حوادث عاتية ، وصرعتني اخبار كثيرة ، وسحقتني امور هامة . وثبت عجزي عن التعبير عما اشاهد واحس واريد ، وتأكدت قناعتي لكثرة طوافي على اخصائيين من الاطباء ان استعادتي النطق ضرب من المستحيل .

في هذا اليوم ، ذهبت الى الملعب ، وحضرت مباراة دامية بكرة القدم بين اقوى ناديين في المدينة . وليس من عادتي ان اشاهد جولات الرياضة ، ولكنني وجدت متعة في رجال تجمعت مقدراتهم العقلية في احذيتهم واقدامهم .. كانت نتيجة المباراة سخية ، فقد جرح اكثر من عشرة اشخاص بينهم الحكم .

خرجت من الملعب يلفني فرح تام بالنجاة ، الا لم اصب باي اذى يذكر .

وقفت امام بائع الصحف ، استعرض الحبل الطويل من الجرائد والمجلات ، ولم اعثر بينها على شيء جديد ، ان كل ما اراه يتكرر .

سرت ساعة من الزمن في الشوارع التي تلتهب بالانوار وتعج بالاضاءة الملونة . وقد توقفت قليلا عند السيارة الصغيرة التي صنعت الحادث يوم امس ، وكان الناس يتحلقون حولها بفضول سخيف . قال احدهم لآخر ، وهو يبدو كالعالم في امور حوادث السيارات :

ـ هنا مات رجل عجوز .. وهذا دمه .

تابعت طريقي افتش عن شيء يجدد حياتي الرتيبة التي اعيشها ، وابعدت نفسي عن المقهى اذ لا اريد ان اضيف فنجانا جديدا في حساب عمري .

نسيت ان اذكر ان الرجل الذي صدمته السيارة ظل مرميا على بلاط الرصيف نصف ساعة حتى يتفرج عليه اكبر عدد ممكن من المارة . وقد توقفت ودافعت الناس ، ودققت ملامحه ، فلعله واحد ممن اعرفهم . قال بعضهم :

ـ عمره مائة عام .. وان لم يمت اليوم فسيموت غدا .

وقال آخر بصوت مسموع :

ـ راى كل شيء في الحياة .. ولن يرى شيئا بعد هذه المائة .

وابدى الشرطي ، الذي وقف حارسا الجثة والسيارة معا ، اسفه العميق لان السيارة انحرفت وصدمت عمود الكهرباء وتهشم وجهها ولمتها الاف الليرات ، وانه لا بد من لجنة منصفة لتقدير الخسائر ويجب انتظارها مهما تأخرت .. ثم قال :

مذكرات الرجل الاخرس

بقلم جهاد الكاتب

ـ خرب بيت السائق ..

احتلت الكآبة هذه الليلة كل حواسي ومشاعري ، وانا انظر الى صورة زوجتي .. ولم اجد خيرا من اخفائها في الخزانة .

يوم الاربعاء

حلمت ليلة الامس حلما مزعجا كان اشبه بكابوس مخيف . رايت نفسي عاريا كما ولدتني امي اقفز من سطح الى سطح هاربا ، وانا لا اعرف

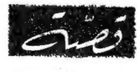

السبب الحقيقي ، واذ وصلت الى سطح معتم ، وجدت في المنتصف فتحة مضاءة تطل على غرفة واسعة . حاولت التدلي منها فلم افلح ، فهي ضيقة جدا .. سمعت ضجة وجلبة خلفي ، فتابعت هربي استتر بين حين وحين تورطي ، حتى وقفت امام جدار اسود طويل فلم استطع اجتيازه .. وبحث الهث في زاوية السطح ، فقد خارت ركبتاي فاغمضت عيني . ولم اشعر الا وانا اهوي الى قرار بعيد .. وبعثني صوت طفل : هذا هو القاتل . وعندما اقتربت الارض مني صرخت بفزع : ماذا فعلت ؟ . فتحت عيني لاجدني امسك جدران السرير بقوة .

ظللت طوال النهار معكر المزاج ، تنتابني نوبات خوف وفزع حقيقي لم اشعر به من قبل او عرفته . وفي المساء هتف لي صديق قديم يعلمني ان محاكمة علنية ستجري غدا الخميس للسائق الذي سبب وفاة الرجل العجوز ، كما اخبرني ان السائق هرب لحظة وقوع الحادث واختفى ، ولكنه ظهر فجأة وسلم نفسه لرجال العدالة .

يوم الخميس

امضيت جانبا من هذا النهار اتقلب على السرير .

وفي المساء غلبني النوم وانا على مقعدي في دار للسينما ، اشاهد عرضا عن علاقة المرأة بالرجل ، واغوارها ، وصورها . وقد ايقظني عامل الصالة بعد ان اسدل الستار ، وتفتحت الانوار ، وانصرف الناس ، وخيم الصمت الموحش الذي يشبه صمت الظهيرة اللاهبة . قال لي عامل الصالة :

ـ يبدو انك تعرف الفيلم ؟

والحقيقة انني لا اجد على الشاشة اشياء جديدة ، فما يقدمونه اصبح مملا ومعادا . واضاف العامل ، وقد وجدني لا افتح فمي ، وانا انهض بتثاقل :

ـ انا ارى الفيلم كل يوم ثلاث

مرات ، ولا انام .

عدت الى البيت . مر في خاطري وجه الرجل العجوز ، وتصورت كيف يمكن ان تكون عليه المحاكمة ، وماذا يحدث لو ان السائق عاد الى الهرب . انني لاعجب من اهتمام كل الناس بهذه القضية ، فهي حديث المدينة بأسرها .

يخطر لي الان ان اخرج صورة زوجتي من الخزانة ، واعيدها الى ظهر الطاولة ، ولمة اشياء دفينة تقول لي اتركها مكانها . انني قلق في هذا اليوم ، ولا اعرف مصدر قلقي .

يوم الجمعة ..

استيقظت باكرا هذا الصباح على صوت جرس الباب . وقد فاجاتني الجارة الشابة بجمالها واناقتها ، ولم اع ما طلبت مني استعارة وما اعطيتها . ان قلبي يرتاح لرؤيتها ، ولكنني كلما تذكرت زوجتي المسكينة التي توفيت هي وطفلها اثناء الولادة يزداد قنوطي . ان الشعور بالذنب هو من اقسى المشاعر في الوجود . ولو قدمت الى اي محكمة نزيهة فانني ساجد الطمانينة . ولكنني ساظل هكذا المعذب الدائم بذنبه . انني انا السبب في كل ما حدث لها والطفل . فلو استخدمنا حبوب منع الحمل لكانت الان حية تملأ عالمي وتقتل هذا الملل وتخلصني من هذه العقدة . ان الزمن اصبح شيئا اكثر من تافه ، وهو على شدة تسارعه اراه بطيئا .

عدت الى الفراش ، وظللت ممددا عليه ، الى الضحى . وقد مسرت براسي افكار عجيبة لم تكن تخطر ببالي قط . لو قصوا السنة الناس او اخترعوا دواء يذيب اللسان ويخفيه ، ولو لمدة قصيرة ، فماذا يحدث !

ذهبت اليوم الى المقهى ، وقد مضت فترة طويلة وانا اقاطعه . ومن خلف الزجاج بدوا اشبه باكياس طحين مكدسة . دخلت وارتميت بينهم كساجدينا ، كانوا يتحدثون بحماسة عن المحاكمة . وقد توقفوا عند نقطة هامة التزموا بعدها الصمت ، والصمت هنا ليس سكون افواههم ، فهم خرس مثلي ، ولكنه توقف حركة اليدين والعينين والشفتين . آخر ما قالوه ، او تنبهت له وفهمته :

ــ يجب ان نحضر المحاكمة . . انها تهمنا جميعا .

ــ ليس ذنب السائق ان يموت الرجل العجوز . الارض كانت مبللة برذاذ خفيف بعد ان رشتها سيارة البلدية .

ــ السائق كان مخمورا وهو لا يرى يمينه من شماله .

ــ الرجل العجوز كان يمشي في منتصف الشارع ، وسمعه ثقيل .

كان آخر من تحدثت يداه ووجهه هو انا :

ــ ربما اصاب السيارة عطل خارج عن ارادة السائق .

ولا ادري لم قلت ذلك مدافعا عن السائق ، على الرغم من ان مشاعري كانت منذ البدء تضطرم ضده وضد الشرطي والسيارة !

يوم السبت

طوال الليلة الفائتة ظللت قلقا ، ساهدا ، ولعل القهوة التي ادمنتها هي السبب . مرت بخاطري صور وذكريات كثيرة ، منها صورة الجارة الشابة . وآلمني ان استعيد لغز موت زوجتي منذ سنوات بعيدة . لقد اصررت ان اثبت رجولتي ، ولم يخطر ببالي قط انني اطالبها ان تكف من الحياة . ان هذا يعذبني . . وكم يسعدني ان اجد طريقة اكفر بها من خطيئتي . قد تكون خطيئة الطبيب الذي اشرف على ولادتها ، وهو اشهر اطباء التوليد في المدينة ، ولم يتصادف معه وقوع حادث الموت طوال فترة عمله . لم لا تكون خطيئة الممرضة او القابلة التي اشرفت عليها اثناء فترة الحمل !! لم لا تكون خطيئة زوجتي نفسها ، اذ هي المرة الاولى التي تحمل فيها . الست مذنبا ؟ . ألم اكن سببا مباشرا اوغير مباشر في موت زوجتي وطفلي . . . ان ما يقلقني دوما هو انه لا توجد محكمة تستطيع ان تنظر في قضيتي فتدمغني بالادانة او تعطيني البراءة .

غفوت صباحا ، ولم استيقظ الا ظهرا ، بعد ان عاودني الكابوس المزعج مرة اخرى . وتذكرت ان موعد بدء المحاكمة قد فات ، فاسرعت بارتداء ملابسي دون ان احلق لحيتي .

وصلت مبنى المحكمة متاخرا . . كان الزحام كثيفا ، والقاعة ملأى ، والممرات محشوة ، والشبابيك مكلسة برؤوس متلاصقة . ووقفت انا بعيدا ، ارصد الاخبار وما يدور على السنة الناس . سالني رجل قصير القامة وانا اطاول على رؤوس اصابع قدمي :

ــ ماذا ترى ؟

لم اجبه ، فعاد وكرر السؤال :

ــ هل صحيح ان القاضي قبل الرشوة من السائق ؟!

واذ وجدني لا ارد ، همس ، وهو يتركني حانقا :

ــ افضل شيء دوما ان يصبح الانسان اخرس .

ولم افهم ما حدث بالضبط في قاعة المحكمة ، وكل ما عرفته هو ان القاضي اجل النظر في القضية الى يوم الغد . ومنيت نفسي بانني ساعثر على التفاصيل الكاملة في احدى الجرائد المحلية .

بينما كنت عائدا الى البيت التقيت مصادفة بزميل لم اره منذ ايام الدراسة . وقد وجدت صعوبة قصوى لاعرفه بنفسي ، ولم اجد اسرع من هويتي لتساعدني في هذا المازق ، اذ اخرجتها حالا ، وجعلته يدقق في الصورة ، ثم تعانقنا عناقا طويلا . وقد فوجىء بصمتي . وحز في نفسه ان اصبح ابكم . وفهمت منه بصعوبة انه يعمل محررا في احدى صحف العاصمة . وقد

لترسله منفوبا عنها الى مدينتنا ليوافيها بأخبار المحاكمة المثيرة. وآثرت الا اسأله عما حدث هذا اليوم في قاعة المحكمة . فقد ملأت الاشارات السخيفة باصابع يدي وجهي وعيني !

يوم الاحد ..

ما زلت حائرا فيما حدث . فقد افقت حوالي منتصف الليل على صوت بباب غرفتي ، وهو يفتح بهدوء وبطء. وقد ظللت فترة ساكنا لاتأكد مما يحدث فلعله حلم او كابوس آخر .. ولكنني رأيت يدا سوداء لمثك ، ثم وجها اسود،وضح بعدها شبح انسان خلف زجاج الباب ، على الرغم من العتمة الكاملة التي اوفرها على الغرفة اثناء نومي .

كان مفتاح النور بعيدا عن يدي، فسلمت ، واحتلت سمالي الناشف صدى كالنباح ، فهدأت حركة الباب برهة . تابع الشبح بعدها انسلاله الى الغرفة كقط اسود ضخم . والحقيقة انني ما عرفت الفزع كمثل هذه اللحظة . فقد تحقق لدي انه يقترب مني . وهممت ان اصرخ ، وانادي ، ولكن من يسمعني .. ثم كيف لي ان اصرخ !. وبقيت جامدا، لم ابد حركة،عيناي فقط كانتا ترقبان تحرك الشبح عندما اتجه الى الطاولة التي اضع عليها مذكراتي ، وهي قريبة مني . حملها بين يديه وراح يقلب صفحاتها بتحرق واضح على ضوء مصباح يدوي صغير. وسمعت صوت تمزق اوراق .. وظل يفتش ويقلب الغرفة الى ان فتح الخزانة الخشبية، ووضع شيئا من محتوياتها في عبه .. ثم خرج دون ان ينظر الي ، محدثا ضجة عادية ، وكأنه يقوم بمهمة رسمية .

قفزت من الفراش ، واولعت النور والتقطت المذكرات المرمية على الارض ، فاذا باوراق كثيرة جزت منها ، وبدت جذورها الممزقة واضحة. فتشت الخزانة بموجوداتها فلم اعثر على صورة زوجتي .. خارت قواي وظلت الدهشة تصرعني وانا مرمي على المقعد .

صممت ان ابتاع مسدسا سريع الطلقات مهما غلا ثمنه لاحمي به نفسي . صحيح ان الشبح لم يعتمد علي او يصيبني باذى ، ولكنه اخذ مني اعز ما املك .. انه الماضي الذي لا استطيع ان اعيش بدونه . انني على الاقل اقتات بما حدث واعرفه، اما المستقبل فانه ستار اسود قاتم لا اعرف ما خلفه ، وهذا ما يرعبني.

لن احكي لاحد عن زيارة الشبح لي ، خشية ان يتهموني بالجبن او بلوثة في عقلي .

صباحا التقيت على الدرج بالجارة الشابة ، وهي كما علمت ممرضة في احدى المستشفيات العامة . رحبت بي بابتسامة لطيفة ، وقالت:

— انني سعيدة جدا ان تكون جارنا .. ان امي ستدعوك الى العشاء في بيتنا . . . شكرت عميقا إحساسها ، وحركت راسي شاكرا لطفها،وقد بدا عليها الاسف والحزن، وهمست تحدث نفسها بلهجة مشفقة: يا حرام ...

وصلت الى مبنى المحكمة باكرا، واستطعت الدخول الى القاعة التي ينظر فيها مقتل العجوز في حادث الدهس ، كما انني حصلت على مقعد امامي .. ووجدتني منقبض النفس ، اشعر برهبة وخشوع وانا انظر الى قوس المحكمة ، فتلك هي المرة الاولى التي اكون فيها داخل قاعة المحكمة ..

طل القاضي الوقور براسه الاشيب ، ونظاريته السميكتين ، يقلب صفحات الملفات المكدسة امامه ، قبل ان ينطق كلمته الاولى . ثم تحدث باختصار عن وقائع القضية فبدا نزيها ، متقنا اصول عمله . وقد صرخ السائق وهو يجلس خلف القضبان اكثر من مرة :

— انا بريء ..

واسى جل الحاضرين في القاعة انه يمثل دوره باتقان ، حتى ان القاضي بهدوئه وحلمه قال له :

— لسنا هنا نمثل على خشبة المسرح . ان دورك الآن ان تصمت، وتستمع .

واكتشفت بعد انتصاف المحاكمة انني اجلس في صفوف ذوي الرجل القتيل ، اذ كانت حماستهم ضد السائق لا حد لها .. وقد احدثوا اكثر من مرة شغباً مقصودا ، وضجة منظمة اجبرت القاضي على ايقاف المحاكمة ، وتوجيه الانذار لهم بطردهم من القاعة . ولا ادري لم شعرت برغبة لانتقل الى صفوف ذوي السائق ، ولكنني وجدت حرجا في تنفيذ ذلك ، فسكنت .

لم تدم المحاكمة طويلا ، فقد وقف السائق بجرأة يطلب احضار شاهده الاول اذ قال :

— اطلب يا سيدي استدعاء الرجل القتيل .. فهو شاهدي الوحيد . وهو يعرف الحقيقة اكثر منا ..

كان طلب السائق مفاجأة قاصمة زلزلت هيبة المحكمة ، اذ انفجرت صيحات متشنجة مستنكرة، وحدث لغط وهرج .. وصاح رجل من ذوي القتيل :

— هذا الرجل يريد ان يكون مجنونا حتى يحصل على البراءة ..

ولم يجد القاضي ، امام هذا الصخب والفوضى الا ان يعلن وسط اصوات ثائرة تأجيل البت في هذا الطلب ، ورفع القضية الى يوم آخر . ولاحظ كثيرون شدة ارتباك القاضي ، وتوتر اعصابه ، اذ لم يسبق له ان تعرض لمثل هذا الموقف طوال حياته في القضاء ، وهو العلم المرموق بين رجال القانون في البلد .. وبينما كان القاضي يهم بالخروج من الباب الخاص به .. صاح احدهم بوقاحة :

— هل اقلست يا سيدي ؟

عند المساء لم اخرج من البيت، وسهرت امام شاشة التلفزيون مكرها .. انني معجب فقط بدعاياتها

الناجحة .. وانتظرت ان تعرض الدعاية الخاصة بالدواء الجديد لقتل الصراصير والبرغش والناموس .. فكثيرا ما يقلقني الناموس وانا نائم . فهو يتسلل الى ما تحت الغطاء ليمتص دمي ، ولا ادري كيف يحدث هذا ونحن لا نراه !

واستعرضت قبل ان انام ، وبعد احكام قفل الابواب والنوافذ ، ما دار معي في الليلة الماضية .. الشبح والمذكرات وصورة زوجتي الحبيبة المسكينة . لم سرق الصورة هذا الخنزير ؟ انني لا امتلك سواها . ماذا يفعل بها ؟!

يوم الاثنين ..

خرجت هذا اليوم باكرا ، وقبل ان يطرق الباب بائع الحليب ، ذهبت الى المقبرة ، ووضعت على قبر زوجتي غصنا اخضر اقتطفته من احدى الاشجار . سألتها ان تصفح عني .. ان تغفر لي . وقد تخيلتها على حافة القبر تنتظرني .. مر رجل عجوز ووقف امام القبر ، هز رأسه مرات ، وقرأ الفاتحة ، وتابع طريقه يجر بيده سبحة طويلة .. وقد خطر لي ان أبرد لها سرقة صورتها من الخوانة ، ولكنني خرجت من المقبرة مسرعا ، اخطو خطوتين والتفت الى الخلف وكأن احدا يطاردني .

اتصلت باحد مهربي الاسلحة المشهورين في المدينة ، وحاولت التفاهم معه على شراء مسدس من عيار ٩ مم ، وقد دلني بدوره على مهرب آخر يقال له : عنتر . وهو ، كما قابلته ، رجل غريب الشكل ، ضخم الجسم ، ذو وجه مكفهر تضيع فيه عيناه ، وله رائحة منفرة ، وكأنه لم يغتسل منذ سنوات . لقد فرض علي ما يريد من الثمن ، وتمت الصفقة . واتجهت الى البيت وانا احمل تحت ابطي مسدسا جديدا . شعرت بثقله ، ولكنني شعرت في الوقت ذاته بقوة مضاعفة ، وطمأنينة كنت افتقدها . وخالطت نظراتي علائم الاستعلاء وانا اراقب عيون الناس تبحث تحت « سترتي » بريبة وشك .

اشتريت علبة من مبيد البرغش .. ووضعته على الطاولة قرب الفراش ، وهيأت نفسي بشوق عميق هذه الليلة .

مساء ، مررت على المقهى ، وقد دار حديث مقتضب بيننا ، ثم اشتد خلافنا حول نتيجة المحاكمة . وتعبت يداي لكثرة حركتهما . وشعرت بعجز واضح ، فقبعت على الكرسي مشلولا ..

قرأت في الجريدة ان المحاكمة اجلت في هذا اليوم نظرا لتغيب القاضي لاسباب مجهولة .. والتقيت بصديقي الصحفي مرة اخرى في الطريق .. قال لي :

ـ ان القاضي وقع في ورطة لعينة ، اذ لا يعقل ان يستدعي قتيلا ليشهد على موته . وهو في الوقت ذاته قلق ، اذ لا يوجد نص قانوني يبيح له رفض استدعاء الشاهد ، وهو شاهد الدفاع الوحيد الذي يعرف الحقيقة .

كتبت الجريدة ان جلسة الغد ستكون فاصلة وحاسمة ، وانه لن يسمح بحضورها الا لقلة من الناس الذين يحصلون على تصاريح خاصة مسبقة !

سأتناول الان قرصين من المهدئات ، فانا اشعر بتعب اعصابي ، ووضعت المسدس منذ اليوم تحت الوسادة .

يوم الثلاثاء ..

نمت الليلة الماضية نوما عميقا ، ودهشت صباحا ، عندما تذكرت انني لم استخدم مبيد البرغش والناموس ، ومع هذا فانا لم اشعر بقرصة او امتصاص الدم .. وقد سرتني هذه النتيجة .

استطعت الحصول على تصريح خاص لحضور المحاكمة عن طريق شخصية مرموقة في المدينة . ووجدتني دهشا ، فمقعد الجارة الشابة كان مجاورا لمقعدي ، ولا ادري كيف حصلت هي الاخرى على التصريح . وتساءلت : ماذا يهمها من كل هذه المحاكمة . ويبدو انها قرأت بحدسها افكاري .. فقالت بلباقة :

ـ لا بد ان اعرف النتيجة .. انها تهمني ، تهمنا جميعا .

كانت القاعة هادئة الا من وشوشات ، وهمسات عصبية كانت تدور على الشفاه ، بينما الرجال المدججون يحرسون منافذ ومداخل القاعة ، ويدققون هويات الداخلين بشكل تام .

قالت لي الجارة :

ـ نسيت ان اقول لك .. امي تدعوك يوم العطلة القادمة الى طعام الغداء .. او العشاء .. كما تريد .

شكرتها بابتسامة . وتساءلت : ماذا تريد مني هي الاخرى ؟ هل تريد ان تموت كزوجتي المسكينة .

قالت :

ـ ستعجب امي بك ..

شكرتها بابتسامة اخرى قصيرة .

قالت :

ـ تستطيع ان تتفاهم معها على كل شيء .. انها مثلك !

ضحكنا .. واعجبني ان نضحك معا دون ان اتكلم .

مضت ساعة دون ان تفتتح الجلسة في موعدها المقرر .. كما انه لم يظهر احد من هيئة المحكمة على القوس .. فقط ، كان منادي المحكمة يروح ويجيء ، وقد بدا عليه الاضطراب والاعياء ..

وطال انتظارنا ، وانا امضي الوقت بصعوبة ، واشعر بدقات ساعة معصمي وصوتها الرتيب يطرق اذني .. ولم تفلح كل تلك الاحاديث الجانبية الفارغة بيني وبين الجارة لتغطية قلقي وانقباضي .

وفجأة ، وبعدان ضجت القاعة تطالب بافتتاح الجلسة ، صعد موظف حكومي عتيق الى قوس المحكمة ، فخيم هدوء تام على القاعة ، ومطت الرقاب وارتفعت الرؤوس .

ذهب الشباب

ذهب الشباب ولا مرد ... ومضى وما للحب عهد
وبداية العهد الجديد ... رنت تقول : ألا استعدوا
لنهاية مـــا ان لنا ... يا نفس عنها اليوم بد
نزل المشيب وهل لنا ... بعد المشيب هوى يجد
لا الشوق يلعب بالنفو ... س ولا الجوى القلب يحدو
وشراع أيامي تصرم ... حبلـه وهـو الأشد
فتش تجد طي الضلو ... ع من الضنى ما لا يحد
بـؤس وحرمـان وآلا ... م والأوصـاب تهـد
مـا هكذا ترضى المروءة ... الألى بالحق جدوا
وأطول أيـام الشقـا ... ء وكم بها الصبر جهد
لا مـن خليل أرتجيه ... ولا صدى مـن ذا يرد
كـلا ولا مـن صاحب ... منه التعلة أستمد
قد ذلت من غير الزمان ... لدى النوى مـا لا يحد
تمشي ولا تدري الصبي ... ي الدروب بنـا تشد
روح لضيق بها الحيا ... ة وهيكل الرمس يصدو
أين الوهاد التي نفرها ... قبلي تصدو ونغدو
والدوح رنمها النسيم ... وعطر الأرجاء رند
وعرائس الأطيار تمرح ... في الربى جذلا وتشدو
والغانيات يمسن في ... غنج الصبي والصحب حشد
نصغي الى الماضي بما ... عب شذه جرز ومـد
يا رب جد الحق الربو ... ع بمن أحب ومـن أود
طالت على قلبي الليالي ... مد طي الشيب الألد
تبكي الديار ولا أرى ... عند علـى أسى يرد
وغدا أنا جـاز الإيا ... ب وحان لي العود وعد
أرسلت وابل أدمعي ... منك الشفاعة أستمد
ومضيت يحدوني الغداة ... اليـك شكـران وحمد

الارجنتين — فائق جبور

قال بصوت خفيض ، لا يكاد يسمع :
ـ القاضي لم يأت .. والوقت المخصص للجلسة انتهى .

انصرف الناس مع صيحات الاستنكار والتساؤل الملح .. وضاعت جارتي الشابة وسط الزحام .. وقد صعد رجل الى قوس المحكمة ، وهو من الحاضرين ، وضرب بالمطرقة ثلاث طرقات ، وهرب .

التقيت على باب المبنى الكبير .. صديقي الصحفي ، فاستفهمت منه عن الحقيقة ، والصحفيون يعرفون دوما ما يجري خلف الجدران ، قال والحيرة تصبغ وجهه :
ـ اختفى القاضي ، ولم يعثروا له على اثر في كل انحاء المدينة .

شغلت مساء بتنظيف البيت ، ونفض الغبار عن مكتبي . وقد مسحت الارض حتى أصبحت لامعة .. ثارت اعصابي عندما انقطع التيار الكهربائي وسكتت شاشة التلفزيون . حملت المسدس تحت ابطي وأشعلت شمعة .

ولم يأتني النوم الا حين عاد التيار الكهربائي .. ولكنني فضلت ان ادون مذكرات هذا اليوم فهي غريبة وهامة ... والآن فان جرس الباب يضرب بشدة ..

حلب — جهاد الكاتب

ايليا حليم حنا

استاذي الذي احببته

بقلم ايليا حليم حنا

●●●

كنت مشغولا بكتابة ترجمة لاحد ادبائنا وفجأة احسست انني مقصر في حق انسان له فضل كبير علي .. انسان يستحق ان اكتب عنه مجلدا وليس مقالا .

كان له اكبر الاثر في حياتي ، واعجبت بـه اعجابا قويا ، كان لي المثل الاعلى في سلوكي ومن فرط حبي له واعجابي به قلدته في كل ما اعجبني فيه فكرا ومظهرا .. قلدته حتى في مشيته وجلسته وايماءاته وطريقة حديثه، وبدأت حياتي مثله مدرسا . انني اذكره حتى الآن وارى فيه الصورة الكاملة للمدرس المربي ..

كان يحب طلبته وطلبته يحبونه حبا قويا رغم تشدده معهم في حجرة الدراسة لانهم كانوا يحسون انه حريص على صوالحهم يتفانى في العمل من اجلهم وكنا نعجب اننا نحبه ونحترمه حتى وهو يقسو علينا !! كنا في الفصل نرى فيه المربي الكامل والمدرس الحازم القوي في مادته .. ونرى فيه خارج حجرة الدراسة اخا محبا لا يأنف من مخالطة تلاميذه ولا يتعالى عليهم بل يعطف عليهم ويحل مشاكلهم . كنا نرى فيه رائدا يخطط لنا الطريق وكان كما يلقننا العلم يسعى ان يحيا كل منا حياة طيبة ..

وطالما شاطرنا شعورنا واندمج معنا كواحد منا يناقشنا ونناقشه ، يفتح لنا صدره ويحترم آراءنا وافكارنا رغم انها كانت فجة غير ناضجة .. وكان اذا راى احدا منا غير عادي لا يهدأ له بال حتى يعرف السبب وكثيرا ما زار اباءنا في بيوتنا اذا عرف لاحد منا مشكلة مع والديه . ولقد فتح لنا الرجل بيته وكان يلقانا فيه كاصدقاء يعتز بهم .. لذا كان بيته احب مكان لعدد كبير منا نقضي فيه معه امتع وقت في مناقشات حرة من وحي قراءاتنا واهتماماتنا ومشاكلنا ... وكان يحدثنا في كل شيء ، في الحياة والادب والفن .. وزادنا هذا احتراما وتقديرا له في حجرة الدراسة .. كنا نحس وهو يلقي علينا دروسه اننا في محراب مقدس نحسن الاصغاء اليه ولا نمل الوعي لما يقول ..

كان يحوطنا بالبر الابوي لتبقى بيننا وبينه الفة حبيبة وتجاوب مانوس .. لذا اثر في طلابه اثرا حسنا ، حسب استعداد كل واحد منا ، ولا اظن ان طالبا درس له استاذي لا يذكره الا وفي نفسه حنين له .

كنت طالبا في نهاية المرحلة الثانوية بالمدرسة الرئيسية الثانوية بالاسكندرية وكان يدرس لنا اللغة الانجليزية .. وقد اكون اكثر الطلبة معرفة به لان منزله كان يجاور منزلنا... عرفت عنه كل شيء واختلطت به كثيرا .. وظلت صلتي به مستمرة حتى تخرجت في الجامعة وابعدتني ظروف العمل عنه عندما عينت مدرسا للغة الانجليزية بكلية البنات الامريكية بالاقصر ثم رحلت للتدريس في السودان حيث امضيت سبع سنوات .. كنت اراسله ويراسلني فيها ، وما زلت احتفظ بخطاباته لانها ثروة ثقافية هائلة كما انها افصحت لي عن الكثير من حياته ...

عرفت عنه كل شيء ابان الدراسة وبعدها وفي خطاباته لي ... اختلطت به كثيرا ... واخذت عنه حب القراءة فظلت معي حتى الآن اكبر هواية لي ، والفت فيها كتابا ، والفضل يرجع الى استاذي الذي غرس لي كما غرس في غيري حب البحث وجعل مني قارئا شرها بعد ان كنت احاول ان اقرأ عندما اريد ان اجلب النعاس الى عيني . كان شابا جاوز العقد الثالث بقليل طويل القامة، نحيل الجسم يلبس نظارة على عينين واسعتين فيهما دواما احلام مرتعشة ، صوته عميق من النوع المعروف في فن الموسيقى بالباسو BASSO . اذا حدثك وجدت نفسك مجذوبا اليه تسمعه وانت مسرور ، عواطفه رقيقة واحساساته دقيقة .. اذا نظرت الى عينيه وهو يحدثك وجدت بحرا جياشا عميقا من الشعور والتاملات الصادقة .. عندما يتحدث يتدفق حديثه تدفقا قويا فتشعر انه يغمرك وتحس حرارة تفكيره فتجد نفسك تنصت اليه وقد استهوتك كل كلمة تخرج من فيه .

كان الرجل شخصية جذابة تفيض قوة وكان مفكرا حقا .. وكان يطلب منا ونحن نناقشه الا نتعصب مطلقا لفكرة او تقليد وينصحنا ان نفكر والا نقيد انفسنا بالماضي

... كان يقول لنا : « انتم شباب فليكن تفكيركم جديدا جريئا كالدم الجديد المتدفق في عروقكم ... لا تقبلوا اية فكرة الا بعد فحصها وغربلتها ... سيروا الى الامام في طريق التطور .. ان العالم يتجدد » .

وكان كثيرا ما يدخل فصلنا في الحصص الاضافية وكنا نسر كثيرا عندما يهل علينا ... وكان معظمنا يكتب ما يقول تماما كما يفعل الطلبة في الجامعة عندما يدونون ما يحاضرهم به استاذهم ...

كان يحدثنا عن السعادة فيقول : « ان السعادة لا تتحقق بالحصول على مسرات الجسد ولكن بترقية الذهن وملاءمة الاخلاق للمبادىء السامية ، ولا يتأتى هذا الا بامتحان يومي للنفس ... ان الشباب الحي هو الذي يكون له مثل اعلى يحبه ملء شبابه وملء قوته وملء امله ... هذا هو الطريق الى السعادة » .

كانت كلماته تشعل نفوسنا حماسة واملا ، نرددها كثيرا ونضعها نصب اعيننا ... كان موضعها دائما قلوبنا وعقولنا نحاول ان نجعلها دستورا لحياتنا .

وكان اذا لاحظ خمولا او تخلفا في احد تلاميذه يقول : « مؤلم للنفس ان يعرف صاحبها انه لن يحدث في هذا الكون اثرا ، وسعيد كل السعادة من يعمل ويعرف ان شيئا عظيما رائعا ينتظره في المستقبل » .

انني عندما اعود الى دفتر مذكراتي الذي كنت ادون فيه كلماته اشعر بعظمة هذا الرجل .. واهتف من كل اعماقي : (لقد كان عظيما) .

كان يكره المجتمعات وينفر منها ويحب البيت وهو عنده النعيم الارضي .. ولكن الويل لاثاث منزله منه فانه طالما نقله من حجرة الى حجرة ومن موضع الى موضع ، حتى صور الجدران كان لا يتركها في موضع واحد ، وكان له ولع شديد بشراء الكتب وكانت المكتبات احب الاماكن التي يزورها دائما ، وكثيرا ما كنا نلقاه في « سوق العطارين » يبحث عن كتاب يستهويه بين مشتات الكتب القديمة المكدسة بغير نظام ... كان البحث عن الكتب وشراؤها احلى هواياته المفضلة ... لذا فقد كان له مكتبة فاخرة منسقة تنسيقا حسنا .

كان استاذنا دمث الاخلاق طيبا وكان شهما واذا اختلطت على رجولته هفوة فهي الحياء .. كان كثير الخجل، قليل الكلام محبا الصمت في حضرة الاغراب ... حياؤه يجعلك تظنه ـ اول ما تراه ـ متكبرا ولكنك اذا حادثته وجدته متواضعا ، حلو المعاشرة طلب الحديث، لا تشبع له من كلام ، يسرق وقتك دون ان تشعر ... وكان يعتز بنفسه الى درجة كبيرة ... له ضمير حساس ، لا يحب التملق او المداهنة .. وهو مخلص جدا وصديق حميم محبوب من كل من يعاشره .. كما انه كان صريحا يقول ما يراه حقا وكنا نعجب من جمعه بين الحياء والصراحة ، وكان يعمل كثيرا ولا يمل وكان قوي الارادة ... اذا عزم على شيء فمن الصعب ان تجعله ينزل عنه.

كان يحب اسلوب المنفلوطي وجبران ، وكان يعلق على جدران مكتبه صورا لهما ولفكتور هوجو ، وجان جاك روسو ، وتولستوي وكان يحدثنا عنهم كثيرا وعن ادبهم، وكان يحتفظ باعمالهم التي كان يقرأ ما ترجم منها ، باللغة الانجليزية التي كان يجيدها اكثر من الفرنسية .

كان والده يود ان يكون مهندسا مثله ولكنه خلق ليكون مربيا واديبا ... سألته مرة في زيارة بعد تخرجي ... لم لم تدخل كلية الهندسة بدلا من كلية الاداب ؟ قال : « لم اكن سعيدا في طفولتي فطفولتي حبسوها في تعقم اسود من المشاحنات وكانت تربيتي تربية تقليدية تستند على العادات التي تسلب الطفل حريته وتجعل من الوالد دكتاتورا ، وكنت اجد في اسلوب هذه التربية تدميرا لي ... بسببها خسرت الشيء الكثير من ذاتي ومن نفسي فوجدت عزائي في الادب ينسيني واقعي ويفرج كربتي بتراءاتي من انماط من الناس تتعذب مثل ما تعذبت » .

كان استاذنا اديبا ومربيا حقا ... كان في كل ما يكتبه او يقول المربي الرائد والفنان الملهم يتألق الحب النبيل في كتاباته ويترقرق في عباراته ... كان يكشف عن الحياة ويضرب في مجاهل الدنيا ... وكان احيانا يعيش في دنيا الخيال وله ولع شديد بالطبيعة ... ولذا فانه كثيرا ما كنا نراه يعمل في حديقته الصغيرة او جالسا امام زهرة يغرس فيها متفحصا مشدوها ... كان يكره الضوضاء وينفر منها ، يحب الهدوء ولا يطيق ان يتحدث احد بجواره بصوت مرتفع ... يحب الليل والعمل فيه.. وكان يستيقظ مع هذا مبكرا ليكتب ... كان في نشاطه مثلا قويا لطلبته وكان لا يتعب ولا يمل .. كان شعلة دائمة التوهج .. لا يلذ له ان يهدأ برهة ، وكان دواما يطالع ويكتب ... كنا لا نذهب اليه في منزله الا ونراه غارقا في المجلدات مغمورا في محيطها تائها عن دنياه ساهما حالما مفكرا كاتبا .

اذا جلس ليكتب فلا بد ان يكون بجواره نافذة تطل على السماء وامامه الزهور على مكتبه ، ويكره ان يسمع صوتا يقطع عليه سلسلة افكاره ، حتى انه كان يخيل الينا انه لو تمكن ان يوقف دقات قلبه لفعل حتى ينعم بالهدوء الشامل .

كان احب الالوان اليه اللون الازرق الفاتح ، كان يفضله دائما في اثاث منزله والجدران ويجلد به كتبه .. اما في ملابسه فانه كان يفضل اللون القاتم .. فبطاقمه اسود وحلله معظمها اسود او كحلي او بني حتى رباط رقبته كانت غامقة ايضا .

وكنا نعجب كيف يوفق في تدبير الوقت لتحضير الدروس وتصحيح الكراسات ، وبين اطلاعه الخاص ، والكتابة ، والاجتماع بطلبته ، وتعهد هواياته .. وكان

لهفة

●

احب !.. وهذا الغزال الشرود	يطـــول مـداه ، ولا يرجـع
يقل الحنين يلـــح ، ويهلو	الـى الآل ظمآن لا يجــرع
الـى ايــن ؟ تلهمني صبوة	فالهــو بقافيــة المـنع
املا .. فانت التـى كلهــا	وبـي لـم تزل لهفـة تطمـع
ومـا غربـي التــي فارس	لعينيـك وحدهمـا الخنـع
الـى ايـن ! ماء يدينا لمد	فمـا تصنعين ، ومـا اصنـع

حلب ـ دار الكتب الوطنية — علي الزيبق

له غرام بتربية الدواجن وكان يفضل الارانب ويحبها ، فان لم تجده امام زهوره يتاملها ويعجب بهـــا فهو بين ارانبه يلهو مع صغارها .. كان يعطف على دواجنه عطف الاب على ولده ولا يطيق ان يرى ارنبا صغيرا يموت كما انه كان لا يذبح شيئا مما يربيه ... وكان عنـــده كلب يحبه وحزن عليه حزنا شديدا عندما مات ورثاه ورايناه يبكي كلما تذكره وكانه فجع في اعز عزيز لديه وقرانا رثاءه بكلبه وتاثرنا لانه افرغ في هذا الرثاء كل عواطفه وحبه..

كان الرجل رقيقا ودنيا محبا لكل شيء ، طابعـــه الاول غرامه بالطبيعة وكرهه الحياة المادية ، وكان يكبـــر من شان الحياة الروحية ... اصيب مرة بضعف فـــي قلبه فكان اذا طلب منه ان يكف عن اجهاد نفسه والسهر ليلا ـ واكثر ما كان ينبهه الى ذلك والده ـ يقول .. ان كان السهر يتلف جسدي فهو ليس بقادر ان يتلف روحي وحقيقة الحياة عندي روح ، وكـــان يحتقـــر النزوات الطائشة ، والمراة لها سحر عليه ... ولكنه لم يتزوج .. ان المراة التي كان يحلم بها اقرب الى الملائكـة منها الـــى البشر .. والحياة عنده منزل هادىء ، وامراة هادئـــة متزنة ، وطبيعة جميلة ، وقلب عف ، ومثل اعلى يعمـــل على تحقيقه .

كان شديد الحساسية .. يكـاد يعرف مـا يجول بخاطرك وانت جالس معه .. وكان دوما يحاسب نفسه على كل ما يعمله ويستعيد تصرفات الناس معه ، ومـــا قالوه له وعنه ، ويدون في مذكراته اخطاءه ويعمل علـــى الا تتكرر منه ... وكثيرا ما وفق في ذلك .

كان يكتب في صحيفة اسمها « الوادي » .. وقـــد طبع عدة بحوث ، وله كتاب قيـــم اسمه « صور » ..

كانت رسائله الي وانا في الســودان تنم عـــن حزن دفين .. وكتب لي مرة بعض ابيات مـــن قصيدة لـــه يقول فيها :

الى اين يا عمري ستمشي على الثرى	واهل لي دنياك وهي سراب
لبني لـك الطيب الذي كنت ترتجي	وهذا الذي يرجى اسى وعذاب

وكتب لي في آخر خطاب وصل الي منه :

« افنيت حياتي ... ضحيت بآمالي .. جاهدت.. كافحت .. اشفقت .. احببت .. عاملت الناس بالذوق واللين .. نسيت الاساءة والاهانـــة .. سامحت . مـــاذا اخذت من كل شقائي وكفاحي وتضحياتي ؟ لا شيء علـــى الاطلاق ... ليتني ارضيت احدا بعد كل ما كابدت مـــن عناء وحرمان !! » .

كان انـــانا عميقة انسانيته .. كان اديبا مطبوعـــا ولكن لم تحقق له الايام حلمه الجميل .. فقد كان يصبو ان يكون صاحب رسالة يؤديها لخدمة الانسانية وكان من السهل ان يتبوأ المكانة التي كان يصبو اليها .. لو لـــم نفجع فيه ... انه لم يمت ولكنـــه الآن نزيل مستشـــفى الامراض العقلية .

اننا لا نذكره الا والاسى يحـــز في قلوبنا حـــزا ... وكنا نود ان يكون معنا ... يؤدي رسالته ونحج الـــى محرابـــه .

القاهرة — ايليا حليم حنا

مشهد من مسرحية فلسطين الثائرة

تقف ام موسى مطرقة والى جانبها زوجها القائد عبد القادر

ام موسى بحزن :

لوكان حتماً ان نعيش   معلقين على المدى
ونظل نكدح في الضباب   وليس من هدف ، سدى
نجري وخاتمة المطاف   من الحياة هو الردى
كنا الصدى بفم الضباب   ونحن أضيع من صدى (١)
وحياتنا لمع السراب   جرى ولم ينقع صدى (٢)

القائد عبد القادر :

لم نأت من عبث ولم   نخلق كسائمة سدى
هدف الحياة أجل من   لغو يردده الصدى
ان الحياة رسالة   بالنور تسطع والهدى
نسعى لنبلغ ذروة   سمقت وندرك مقصدا
نبني كما بنت الاولى   صرحاً أشم ممردا
ونصون تاريخاً أغر   على الزمان مخلدا
ما كان أنبل أن نصون   ثرى بروح يفتدى
أرض الفتى التاريخ   طاول في الشموخ الفرقدا
والحر من صان التراب   ولم يقصر عن فدى

ام موسى :

عبء الامانة دونها   الاعناق تشهق من عياء
والمرء في شتى العصور   المرء ، من طين وماء
والقلب كان القلب   مصدر ما نقاسي من بلاء
هو علة الضعف اللئيم   بنا ، ومصدر كل داء

تقف مفكرة وتتابع :

عجباً الهم اللغوب   اذا هفت عند القضاء
والمرء يسمو بالشعور   في الحياة وفي الولاء

عبد القادر :

كم كان بين مشاعر   ومشاعر من فارق
البذل في البخل   والاقدام في الابق
ما كل قلب راح يخفق   في الصدور بخافق
كم من فؤاد كان أحرى   بالأذى من باشق
أنا ما نطقت على الهوى   بهواجس من مالق
أدليت غير موارب   عن خبرة بحقائق

---

١ ـ الصدى : الصوت في الفلاة
٢ ـ الصدى : العطش

دمشق   عدنان مردم بك

عبد الرزاق الهلالي

من شعراء العراق

المفتي السيد محمد حبيب العبيدي

١٢٩٦ هـ ـ ١٣٨٤ هـ

١٨٣٨ م ـ ١٩٦٣ م

بقلم عبد الرزاق الهلالي

* * *

توطئة: ان هذا الشاعر الذي نتحدث عنه، من الشخصيات العربية الاسلامية الكبيرة، التي كان لها في النصف الاول من هذا القرن ، اسم بارز ، ونشاط كبير ، في ميدان الجهاد والعمل على جمع كلمة المسلمين ، واعلاء شان الامة العربية ، وقد استمر هذا النشاط الى آخر ايام حياته ! ومن اجل صفحات هذا الجهاد والعمل الاسلامي العربي الذي قام به هذا الشاعر في مجرى حياته ، نقدمه للقارىء الكريم وفق ما يلي :

العبيدي : ... لقد شاء هذا الشاعر ان يلقب نفسه بلقب (العبيدي) على الرغم من كونه ، سيدا اعرجيا ، من سادات الموصل الاجلاء (١) . لقد لقب نفسه بـ (العبيدي) نسبة الى جده الفقيه والعالم الشهير قاضي الموصل السيد عبيد الله بن خليل البصير، المتوفى سنة ١٢٠٨ هـ .

من هو العبيدي ! هو السيد محمد حبيب بن السيد سليمان بن السيد عبدالله ، ابن ابراهيم بن عبيد الله بن خليل البصير الاعرجي العلوي ! ولد في مدينة الموصل يوم ٢٠ ذي الحجة سنة ١٢٩٦ هـ الواقعة لسنة ١٨٧٨م، ونشأ في كنف ابيه ، محاطا بحبه ورعايته ، حتى اذا بلغ السابعة من عمره ، ادخله احد الكتاتيب ، لكنه لم يلبث فيه الا سنة واحدة، اذ نقل بعدها الى «المكتب الرشدي» فاكمل دراسته في هذا المكتب باربع سنوات بدلا من ست !

ولما انهى دراسته هذه ، هيأ له ابوه ، استاذا خاصا يدرسه العلوم العربية ، هو الشيخ علي افندي الحصري . حتى اذا قطع شوطا مع هذا الاستاذ الفاضل، اسلمه ابوه الى استاذين آخرين هما السيد احمد الفخري واخوه السيد محمد الفخري ، حيث قاما بتدريسه بقية (علوم الجادة) فأجيز وهو في سن التاسعة عشرة، الاجازة (العالية) على السنن المعتادة في العلوم الدينية !

دراسات اخرى : وتمكن خلال هذه السنين من اتقان اللغة التركية وبرع بها واحاط بآدابها ، وبات قادرا على نظم الشعر بها ، كما اتقن اللغة الفارسية واطلع على الادب الفارسي وقرأ شعر كبار شعراء الفرس ! ثم انه عكف على دراسة التاريخ العربي والاسلامي ، فنشأت فيه رغبة شديدة للعمل على خدمة الامة العربية خاصة والاسلامية عامة . وقد باتت تلك الرغبة عملا ظاهرا ، بعد اعلان الدستور العثماني في سنة ١٩٠٨ ، حين اخذ منذ ذلك التاريخ يبث آراءه الاستنهاضية ومشاعره العربية الاسلامية في ما يكتب وينظم باللغتين العربية والتركية .

في جامع النبي يونس : ولما نال (الاجازة العالية) وجهت له وظيفة التدريس في جامع النبي يونس (ع) في مدينة الموصل ، وكان آباؤه واجداده يشغلون هذا المنصب الديني منذ عهد (تيمورلنك) باني هذا الجامع!!

---

١ ـ ينتسب السادة العلويون في الموصل الى الامام (عبيد الله الاعرج) بن الامام الحسين الاصغر بن الامام الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) . فهم سادة (اعرجية) الا ان عائلتهم الكبيرة هذه تشعبت وانبثقت فروعها على مر السنين والاعوام ، فظهر من جميع هذه الفروع ، نقباء اجلاء ، وعلماء وفقهاء وقضاة فضلاء وعدد من الشعراء والادباء . وكانت لهؤلاء الرجال مراكز مرموقة واعمال جليلة في الحياة السياسية والدينية والادبية في الموصل خاصة . وتتفرع هذه العائلة الكريمة اليوم الى عوائل عدة هي : آل المفتي ، آل الخضري ، آل العبيدي ، آل حافظ ، آل النقيب ، آل السيد علي اغا ، آل الاعرجي آل العربي ، آل السيد حسن ، آل السردار ، آل القاضي ، آل مراكبي ، آل الطيلة . هذا وان اقرب النقباء الذين انتهت اليه هذه العوائل وتفرعت منه هو النقيب (محمد نصير الدين) نقيب نقباء الموصل وديار بكر ونصيبين المتوفي سنة ٩٢٥ هـ والجد الاول السلفي لمستوطن الموصل سنة ٤٢١ هـ ، هو النقيب (محمد ابو البركات) استقينا هذه المعلومات من كتاب الاستاذ حازم المفتي الموسوم بـ « نقباء الموصل العلويون » المخطوط .

وقد انكب في هذا الجامع على الوعظ والارشاد والتدريس حتى عام ١٣٢٨ هـ .

الى استانبول : وفي سنة ١٣٢٨ هـ ـ ١٩١٠ م غادر الموصل قاصداً عاصمة الخلافة ، استانبول ، فلما وصلها استمرأ العيش فيها ، فبقي في حماها زهاء السنتين . وخلال وجوده هناك ، قامت جيوش ايطاليا بغزو طرابلس الغرب، وحين سمع بهذا الغزو الاستعماري الغاشم ، ثارت حميته الاسلامية، واخذ يعبر عن مشاعره بما كان يلقي من خطب وقصائد في الحث على الجهاد ووحدة كلمة المسلمين لرد كيد المعتدين !!

العود الى الموصل : وفي سنة ١٣٣٠ هـ ـ ١٩١٢م عاد الى الموصل وهو على اشد ما يكون حماسة واندفاعاً، ولذلك لم يكد يستقر به المقام في مسقط رأسه حتى بدأ عمله السياسي والديني ، وكانت الخطبة التي القاها في ساحة (قضيب البان) على جمع كبير من علماء ووجهاء الموصل تلك الخطبة الهامة التي سميت بخطبة (نادي الشرق) خير مثال على هذا النشاط .

الحرب والجهاد : وفي اوائل سنة ١٩١٤ م سافر الى بيروت للمعالجة والراحة . بينما كانت نذر الحرب العالمية تلوح في الافق ، ولذلك لم يكد يصل الى بيروت حتى اعلنت الحرب ، ثم تتابعت الاحداث التي انتهت بدخول الدولة العثمانية الحرب ضد الحلفاء ، فما الذي يفعله هذا الرجل المسلم ؟ هل يقف موقف المتفرج او يبدأ عمله في نصرة الجيش العثماني ؟! لا ، لم يقف موقف المتفرج، بل اخذ ينشر القصائد الطوال في استنهاض الهمم والدعوة لمحاربة (الكفـــار) والدفاع عن ثغور المسلمين !

في جناق قلعة ! وخلال وجوده في ســـورية ، انتصرت القوات العثمانية ، على جيوش الحلفاء ، في معركة (جناق قلعة) فكان لهذا الانتصار صدى بعيد في العالم الاسلامي . وقد اراد قائد الجيش الرابع في سورية (جمال باشا السفاح) ان يتخذ من هذا النصر وسيلة للدعاية ، ولذلك قرر ايفاد بعثة تتألف من كبار الشخصيات السورية ورجال الدين ، الى جناق قلعة واستانبول ، وقد اختير السيد العبيدي (الذي كان موجوداً في الشام آنذاك) عضواً في هذه البعثة . فلما سافرت برئاسة الشيخ اسعد الشقيري في نهاية شهر ايلول سنة ١٩١٥ ، وقامت بزيارة ميدان القتال ومن ثم استانبول ، كان السيد العبيدي خلال هذه الزيارة عدد من الخطب والقصائد التي يحث فيها على وحدة العرب والترك ويدعو الى الوقوف صفاً واحداً في وجه العدو الكافر !!

العودة الى بيروت : ولما رجعت البعثة من زيارتها، الى دمشق في سنة ١٩١٦م، رجع العبيدي الى بيروت، وهناك قام باصدار ثلاث رسائل هي :

١ ـ صدى الحقيقة : تكلم فيها عن العلاقة بين العرب والترك وحض المسلمين فيها على الجهاد .

٢ ـ حبل الاعتصام ووجوب الخلافة في دين الاسلام ـ : ذكر فيها جنايات الانكليز .

٣ ـ جنايات الانكليز على البشر عامة وعلى المسلمين خاصة ـ : اعاد فيها ذكر جنايات الانكليز في رسالته السابقة واضاف اليها !

في الاسر والاعتقال : ولما انتهت الحرب العالمية بانتصار الحلفاء ، اعتقل السيد العبيدي ، وسفر مع المعتقلين الى الهند ، الا انه لم يلبث هناك طويلا ، بل نقل الى مصر حيث احتجز في (ثكنات قصر النيل) فظل معتقلا في هذا المعسكر البريطاني حتى شهر مايس سنة ١٩١٩ م اذ اطلق سراحه وصرح له بالعودة الى وطنه .

وقد ذكر لنا الاستاذ حازم المفتي ان العبيدي رسالة تناولت ما جرى له في هذا المعتقل عنوانها « شفاء الغليل في رحلة وادي النيل » والتي لا تزال بين مخطوطاته

في الموصل الحدباء : ولما عاد الى الموصل الحدباء، وجد ابناء وطنه على فوهة بركان ثائر ، لا سيما بعدما قلب الانكليز لهم ظهر المجن ، واتهم في سبيل الثورة على بريطانيا ، فلقي هذا الوضع في نفسه هوى ، ولذلك سارع في المشاركة في هذا المضمار ، حين اخذ ينظم القصائد والاناشيد الحماسية ويلقي الخطب القومية الملتهبة ، ثم لما اعلنت عصبة الامم عن جعل العراق تحت وصاية بريطانية ، ارسل صيحته المدوية التي اسماها « صيحة السماء وصدى الضمير » فكانت موشحته هذه من القصائد التي اذكت مشاعر الثوار في سنة ١٩٢٠ فضلا عما له من قصائد وطنية اخرى في تأييد هذه الثورة الوطنية الكبرى !

مغادرة العراق ثانية : ولما انطفأت نيران ثورة العشرين ، وسيطر الانكليز سيطرة تامة على مقدرات البلاد ، آثر العبيدي ، بمغادرة وطنه ، فغادر الموصل قاصداً دمشق فبيروت ، وقد ظل في تلك الديار حتى عام ١٩٢١ ، عندما تم تشكيل الدولة العراقية وتنصيب فيصل بن الحسين ملكاً فيها . لقد رجع العبيدي الى الموصل ، بعد هذا التاريخ ، والامل يداعب نفسه في هذا العهد الجديد ، ولكنه مع هذا لم يكن واثقا كل الثقة بسياسة الانكليز . وقد اعرب عن هذا الشك في قصيدته التي القاها حين زار الملك فيصل الاول مدينة الموصل ، فقد قال فيها :

جهابذة التاريخ هل من مخبر ... عن العرب يوماً اين شالت نسورها
وهذا دعي قومي فيسعد شملهم ... كأن لم يكن مأوى العروس ... سنورها
وكيف هوى من اوج ... نجم سعدها ... وكيف ذوى بين الرياض نضيرها
... ... وانتثر موكبها وينقطع صورها
... ... ودحماه ربي ... ...

مفتي الموصل : وفي نهاية سنة ١٩٢٢ ، صدرت

الارادة الملكية باسناد منصب (مفتي الموصل) الى العبيدي، فلحقه منذ هذا التاريخ لقب (المفتي) ، وحين شغل هذا المنصب ، لم يرض بتسلم الراتب المخصص له من دائرة الاوقاف ، بل ظل يشغله بدون راتب حتى آخر لحظة من حياته (كما ذكر ذلك لنا قريبه الاستاذ حازم المفتي).

نشاط اسلامي : وحين كان مفتيا في الموصل اختير في سنة ١٩٢٦ لتمثيل العراق في « مؤتمر الخلافة الاسلامية » الذي انعقد في القاهرة . ومن المناسب ان نذكر هنا ، ان المرحوم احمد شوقي له قصيدة نظمها بمناسبة هذا المؤتمر عارض فيها فكرة الخلافة ، وقد رد عليه العبيدي برسالة اسماها « شوقي ومعصلاوه الاسلام وخلفاؤه » وان هذه الرسالة لا تزال بمسين مخطوطاته !

ثم في سنة ١٩٣٠ سافر الى سورية ولبنان وفلسطين طلبا للراحة والاستجمام ، وقد طالت هذه السفرة حتى عام ١٩٣٢ ، وفي هذه السنة عقد المؤتمر الاسلامي العام في القدس ، فمثل العراق فيه .

وطبع في دمشق في سنة ١٩٣١ كتابه الموسوم بـ « النواة في حقول الحياة » ونشر كثيرا من القصائد القومية والوطنية في صحف بيروت ودمشق !

العودة الى الموصل : وفي نهاية سنة ١٩٣٢ عاد الى الموصل بعد فراق سنتين ، لكنه لم يكد يستقر به المقام في بلده ، حتى قامت جماعة الاثوريين بالعصيان على الحكومة ، ثم حدثت بعد ذلك احداث سياسية هامة فلم يجد تجاه هذه الاحداث بدا من الاعراب عن مشاعره بقصائده الوطنية ومقالاته القومية .

وفي سنة ١٩٣٤ بدأ ينشر مقالات سياسية بعنوان « ماذا في عاصمة العراق من سم وترياق » اصدر منها كراستين ، ثم منعته السلطة من الاستمرار في نشر هذه الكراسات !

العبيدي النائب : وحين اجريت الانتخابات النيابية في زمن حكومة ياسين الهاشمي سنة ١٩٣٥ ، اختير العبيدي (نائبا عن الموصل) ، وقد ظل في هذا المجلس حتى انقلاب بكر صدقي ، فلما اغتيل قائد هذا الانقلاب، وحل المجلس بعد ذلك ، انتهت علاقة العبيدي بالمجلس ولم يرشح نفسه للنيابة بعدها !

نشاط ادبي وسياسي : وحين قطع العبيدي صلته بالنيابة ، عاود نشاطه السياسي والادبي ، وقد انعكس هذا النشاط في اعمال عدة ، منها قصيدته التالية التي جعل عنوانها « الفاروقي واهل البيت » وهي القصيدة التي نظمها سنة ١٩٤١ ليرد فيها التحية الى الشاعر المرحوم عبدالباقي العمري . ومنها قصيدته التي عنوانها « غزل ام تصوف » وسبب نظمها اعجابه ببيت جميل كان جده الشاعر (خليل البصير) نظمه باللغة التركية، وقد ترجمه العبيدي بقوله :

انا لا الحق جفني حلما | من خيال الحب يشكو لفته

وفي سنة ١٩٤٧ اصدر كتابه الموسوم بـ « الفتوى الشرعية في جهاد الصهيونية » .

ونظم في سنة ١٩٤٨ قصيدته الطويلة التي تقع بعشرين قطعة ، كل قطعة في احد عشر بيتا ، وفي خاتمة كل قطعة يكرر الشطر (رب رحماك اليك المشتكى !)

وصيتي الاخيرة : وكان آخر ما نظم العبيدي هذه الابيات التي نظمها يوم (١٩٥٢/٨/٥) بعنوان « وصيتي الاخيرة » وهي :

الى الله اشكو سوء حالي فانني	اموت مرارا كل يوم وابعث
فان لك حب المال يوما لوارث	فما انا الا للفضائل مورث
شكوت عيون الاسلام من عدوه	وذل بنيه والبراعة تلبث
ستاستر لاحقاد .... فتهمة	واحقاد اسرائيل والقوم اخبث
فرنسا وامريكا وطاغوت لندن	سلوهم والقابا لهم ليحدثوا
فهل يحمي يوما يطالب بسلم	فيثأر منهم وعني يحدث
اليه الهي من اشتكي من مصائبي	يتلاحق فيها خائض ويخنث

الاعتكاف : ولما كبر العبيدي بثقل هذه الحياة واعبائها عليه ، لا سيما بعد ان تقدم به العمر ، آثر ان يعتكف في داره منذ عام ١٩٤٥ ، لا يخرج منها ابدا ، الا انه كان في معتكفه هذا ، يستقبل زواره من رجال الدين والعلم والسياسة والادب !

آخر الصفحات : وهكذا ظل مفتي الموصل السيد محمد حبيب العبيدي، مثلا بارزا من امثلة الجهاد في سبيل العروبة والاسلام ، حتى وافاه الاجل المحتوم يوم (١٩٦٣/١١/١٩) فودع هذه الدنيا الفانية وله من العمر (٨٥) عاما .

آثار فكرية مخطوطة : لقد افادنا الاستاذ حازم المفتي، ان المرحوم العبيدي آثارا فكرية مخطوطة هي :

١ ــ شفاء الغليل في رحلة وادي النيل .

٢ ــ على مسرح الدهر ما رأيت ؟ وهي ملحمة تاريخية ، تعتبر من اروع ما نظم ، تبلغ زهاء (١٠٠٠) بيت ومطلعها :

خلني بالله من رجم الظنون | ومن العقبى ومما يرقبون ؟

٣ ــ المجادلات السياسية واسباب الفشل الاساسية

٤ ــ ايقاظ الوسنان في حياة الانسان .

٥ ــ حكم الشعب بين الديمقراطية والدكتاتورية .

٦ ــ مقالات وخطب سياسية ودينية واجتماعية .

٧ ــ الجراثيم الثلاثة .

٨ ــ رسائل العبيدي (جومان) .

العبيدي الشاعر : ويعد السيد محمد حبيب العبيدي ، في الطليعة من شعراء العراق في مطلع هذا القرن ، يمتاز شعره بجزالة الاسلوب ، وقوة القافية ووضوح الفكرة وبيان الهدف . يفيض شعره بالعاطفة الاسلامية والشعور القومي والاحساس الوطني ، وان نظرة واحدة على ديوان شعره (الذي طبع في سنة١٩٦٣) تكفي للوقوف على ذلك .

نماذج من شعره : ورغبة في اعطاء القارئ صورة واضحة المعالم من هذه الشخصية العراقية ، فها نحن أولاء ، نقدم له فيما يلي نماذج من شعره الذي يمثله في مواقف وجدانية مختلفة :

١ ـ جزيرة العرب

والعتبر لقصيدته هذه من القصائد القومية الرائعة التي ظل يتغنى بها العرب ولا يزالون لما فيها من الشعور القومي والعزة العربية اذ قال واصفا جزيرة العرب :

لعصابا فاقل على الشهب … وترابها خير من الذهب
تحنى السماء لــو ليــت … حلمة مــن ترابها العجب
ان يبدا الظل في مغاورها … قبل تهمر الهجرة احتجب
واذا البرق شام مبسمها … استكرته بغمرة العجب
عج بارض العجائب اشرفها … ترك الاقطار من كثب
يسقلا من جزيرة العرب … لتستطرفي السماء لي وطنا

نحن احفاد امــة نصبت … علما للهدى على النصب
نحن احفاد امة سطرت … معجزات التاريخ بالقضب
نحن احفاد امة حليت … يوم قامت بارفع الرتب
سوف نحيي مجد الالى حملوا … عرش كسرى في سالف الحقب
ألبسوها ثوب البهاء بما … لهدوا من علم ومن ادب
ليت اراضي الجوزاء لي وطنا … يسقلا من جزيرة العرب

٢ ـ يعاتبني قومي

يعاتبني قومــي كأنـي مجرم … وهل ذنب ليــي اني مسلم
سمعت سيوف الحق تقطيل الو … غى وسمر العوالي بالهدى تتكلم
فلبيت صوت اللــه اذ هتفوا بــه … ولست بمن عن صيحة الحق يحجم
دعوها جهــادا والجهاد فريضة … ولبيــد حب الخلق اليها وتسوم
وكم لمستطيل العرب لو كحجاتوا … بما ستجير العرب يوما عليهم
اذا انا لــم اغضب تديني فيرا … فلا رضيت عني شعوبي وانجمم
وان انا لم اغضب القومي حمية … فــلا عاشم مني ولا انا منهــم

٣ ـ ماذا كانت وماذا صارت

كانت امانــي … صــارت ظالم
فاسمعوهــا … والشعب نائم

انت عرفا علــى الجماجم … تبني حياة الصيد الاكارم
يا ابن الفراتين قــد كنت حالم … فمن لليلا يدوم القاتم

فاسمعوها وانت نائم

لم الضحايا استحال خمرا … لمن تولوا عليك امرا
نشــوان هنا والله سكرى … وانت تسقي يا شعب مرا

فاسمعوها وانت نائم

الاكــر دمــه بالاحتلال … سالت بلاد فوق الرمال
ولي سهول وفــي جبال … الق نديها يا بن الشمال

فاسمعوها وانت نائم

رعاك ربــي ابي يابال … على عليه سبيل الاماثل
والبسوه ثوب الرذائــل … يا شعب هنا وارث القبائل

فاسمعوه وانت نائم

٤ ـ نفاد الصبر

رب هــذا الشعب مــن يرحمه … فلقــد ساموه خسفا ودمارا
رب هذا الدين من ينصره … فلقــد ساموه ذلا وصغارا
رب هــذا العرش مــن ينصره … قــد غدا عارا علينــا وشنارا
رب هــذا الــقل مــن يرفعه … قــد حملناه اضطرارا لا اختيارا
رب رحمــاك اليــك المشتكى … نفد الصبر فما نرجو اصطبارا
يــا سراة الحي يــا اسد الشرى … يــا حماة الدين سرا وجهارا
ان مــوت العز خــير الفتــى … مــن حياة الذل ان رام الفخارا
قــد ملئنا مــن حياة ملئت … رغم حب الشعب سما وشرارا
قــد خسرنا الدين والدنيا معــا … انبقي فوق ذا العمر خسارا
فبــدار يا بني الدين الــى … حفظ دين الله بالله بدارا
وانتصارا يــا شقاريف الحمى … لحقوق غصبت منـا انتصارا

٥ ـ صيحة السماء وصدى الضمير

الصرخة الاولى قال فيها :

ايها القرب جئت شيئا فريــا
ما علمناه في (الوصي[1]) وصيا

قسمــا بالقرآن والانجيــل … لستنــا نرضى وصاية للنيل
او نميل النهاه مثل السيول … البعــد الوصي لذي البتول

نحــن نرضى بالانكليز وصيا !

وهذه الصرخة طويلة ختمها بقوله :

مثل وادي السلام وادي العقيق … كم لنا من مهند متلاف وليق
وعشــوق الاوطان عر الطـروق … البعــد الصديق والفـاروق
والذي صاير الرسول النبيا
نحــن نرضى بالانكليز وصيــا

الصرخة الثانية وقال فيها :

انتهوا يا اهل الثرى والثريا
لم ابت شيعة الوصي الوصيا

لقــد نقضنا عهد النبي الهاشمــا … واحملنا العــا وعارا وشينــا
ان قبلنــا وصايــة ولوينـا … افلا يسخــط الوصي علينــا
ان رضينــا بالانكليــز وصيا

الصرخة الثالثة ، وقال فيها :

لست منا ولم تكن منه شيا
فلماذا تكون فينــا وصيا

لم تكن يــا ابن التمدن طوعا … هاشميــا ولم تكن قرشيــا
لا ولا مسلمــا ولا عربيــا … مــن بني قومنا ولا ترقيــا
فلمــاذا تكون فينــا وصيــا ؟

ليس ما بيننا وبينك جامع … وطــن او قوميــة او جامــع
فرقت بيننــا جميع الجوامع … حين شان المتبوع شان التابع
فلمــاذا تكون فينــا وصيــا ؟

في سبيل استقلالنا قــد نكثنــا … عهد الخوان دينــا بيوم لرئنــا
كم دمــا منا ومنهم سفكنـا … لم نجسم استقلالنا مــا وصلنا
فلمــاذا تكون فينــا وصيــا ؟

٦ ـ ما كان جورك في حسابي

عــم مــن لذاتك الشباب … شيئا يخفف مـــن مصابي
يــا ابيض الوجنات لو … سودت صحفا مــن عتاب
رفقــا بصب صابر … زوجتــه من كلى صاب
يــا جائرا فــي حكمــه … مــا كان جورك في حسابي
ايــن ابتهاجك بالهوى … حتــى كانك في عذابي
ايــن انشراحك للتراضي … واضطرابك لا اضطرابي
الــان ملكتــا الهوى … عرجي الــى دفع الحجاب
تلــي الاسعاد الهيلة … تلــدي بايــام الشباب
يــا معرضا بعد الرضى … يــا سالبا بعد التصابي

---

1 ـ يقصد بذلك الامام علي بن ابي طالب (ع) .

راقصة باليه

حلقت في الجو اسراب العيون   حائمات شفها بـرح الحنين
حومت حولـك تبغي رشفـة   مـن اياديك ومـن ثغر ضنين
كلمـا اوصدت بابـا اقبلت   تسال الليل عـن الصبح المبين
اسدلي حولـك ليـلا حالكـا   من ليالي الصد يقصي الطامعين
وامنحي الناس سلاما عابـرا   ليس في الدنيا على الحسن امين
واهمسي بالرقص همسا فلكم   افصح الرقص عن المعنى الدفين

ليتدفـا الشمس في راد الضحى   ومن البدر سنـا فوق الجبين
فيك مـن ليلـي سكون حالم   ومـن الفجر ضياء يستبين
فيك مـن زهـر الربى نضرته   ومن الانسام عطـر الياسمين
ومـن الدنيـا خداع شائـق   يسر البلـوى ونادى الطامعين
صفق الحسن وقال استبقوا   ها هنـا الري لقـوم ظامئين

اخطري ما شئت في ظل الصبا   واخطريها شئت في قلبي الطعين
وانثري الاوهام فـي احلامنا   ترقص الفرحة بـين الهائمين
وابسمي تلق المنـى هفافـة   بجناحي صابر فـي الصابرين
واسلمي من لفحة الحب التي   هو في الاقدار كالغيب الجنين

يا لفرع شاع فـي اسلاكـه   رائـق التبر ينادي العابثين
انـه تـاج علـى مفرقـه   صـاغه الله قلـوب الآثمين
يـا رعاك الله مـن فاتنـة   ايقظت في الناس ايمانا ودين
عبدوا فـي حسنها خالقهـا   انما الحسن جـزاء العابدين
فمري الآثم فينـا يرعوي   كلنـا الحسن نسعـى طائعين
وانـا عنـد التقى اقربهم   انني في الحب ادنـى المتقين

القاهرة   احمد عبد المجيد

حسبي وحسبك ما جرى   بيني وبينك مـن عتـاب
لـلي فيك دمع سائـل   ولذاك تبخـل بالجـواب
مـا كنت لمبر ساعـة   لو انـه بيك بعض ما بي
بي منك ما لـو كان بالافـلاك خـرت للتـراب

٧ ـ سلطان الهوى

لقد ملكت قلبي فاضحى اسيرها   مليكة ربـات الخـدور الكواعب
اذا خطرت في موكب مـن لداتها   فما هي الا البدر وسط الكواكب
خضعت لسلطان الهوى مذ عرفتها   وما ذر شهاها وما طر شاربـي
صغيرين نلهـو بالدمـى فالفتنا   بافق الصبا نجمان في ثوب لاعب
وبالرغم منا فرق الدهر بيننـا   ولكـن حفظنا الود رغم النوائب
شببنا وشبنا والهوى يغلب الهوى   وما خان منا صاحب عهد صاحب
فيا حبذا عهد الصبابة والصبـا   ولا حبذا عهـد الاماني الكواذب
لعل يـد الايام تجمع شملنـا   ونلبس ثوب الوصل كل التصابي

٨ ـ لعلك جئت من وطني

الا يـا نسمـة هبت سحيرا   بريـاك مـن هويـاه خبريني
لعلك جئت مـن وطني المفدى   فقـد حركت شيئا من شجوني
ومـا ازهـار آمـالي لـماذا   ذوت وقد سقيتها مـن جفوني

واخيرا : فهذا هو الشاعر الكبير المرحوم السيد محمد حبيب العبيدي ، مفتي الموصل ، وتلك هي حياته وهذه هي نماذج من شعره ، نرجو ان يكون القارىء الكريم قد اخذ فكرة عامة عنه ، وافاد مما قدمناه له من معلومات في هذه الصفحات وهو ما نريد والسلام .

بغداد   عبد الرزاق الهلالي

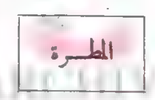

بقلم سعيد ابو الحسن

كنت أتردد عليه في مخزنه الكبير في مركز احدى المحافظات السورية . في هذا المخزن ــ كالعادة ــ كان الانسان يجد كل شيء : من الابرة حتى السرير ، ومن اغلى الاقمشة حتى خيط القنب . فقد كان يطيب لي التحدث اليه وسماعه وهو يتكلم . كان من هذا النوع الزين بالعلم ، المختمر بالتجربة ، الناضج بالثقافة الحقيقية علما وعملا . ولكنه كان يعمل بالتجارة لان امثاله كانوا يبتعدون عن الوظيفة ايام الانتداب الفرنسي ويسعون الى العيش عن طريق الاعمال الحرة ــ وكان والده تاجرا قبله ، فامتهن هو التجارة واشتهر بالاستقامة ، والقناعة بالربح اليسير ، والابتعاد عن التلاعب بالاسعار واستغلال الزبن بالمساومة وحلف الايمان الكاذبة ، كما يفعل الكثيرون . لذلك كثر زبنه وزادت ارباحه واستطاع ان يؤمن العيش الكريم لذويه وان يسخو في المناسبات القومية والوطنية بمبالغ كبيرة لا يتحدث عنها ولو تلميحا.

ولاحظت المرة بعد المرة انه ، كلما صعب عليه التفاهم مع شخص يريد ان يساوم والسعر محدود ، يريد ان يقول من الحرير انه مغسول ، ومن الخيش انه كتان ، كان يردد احدى كلمتين : « نقلنا الهند ، يا سيدي ! » او « مطرة ، يا سيدي ! » ــ وصممت يوما على سؤاله عن هاتين الكلمتين ، فسألته هل هما تميمتان يحتمي بهما من الاغبياء ، والثقلاء ، والماحكين ، ام ان وراء كل كلمة منهما سرا يعرفه هو وحده ، فافترق وجهه بابتسامة حلوة ، وترك لمعاونه العمل ، وجلس فوق كرسي الى جانبي ، وتنفس تنفسا عميقا وقال :

ــ « انت تعلم ، ولا شك ، ان اسوا اصناف الجاهلين ، صنف الجاهل الذي « لا يدري ولا يدري انه لا يدري » حسب تعبير ابن دريد ، او صنف « الجاهل الذي لا يقصر بجهله » حسب تعبيري الخاص . وقد نعته ابن دريد بانه الاحمق الذي يجب تركه وعدم محاولة اصلاحه ، فاصلاحه مستحيل .

من اجل هذا تراني ، عندما اصطدم بهذا النوع من الناس ، انهي الحوار والزم الصمت واكف عن بذل اي مجهود اضافي . اما لماذا اغلق انهاء الحوار بعبارة « مطرة » او « نقلنا الهند » فلذلك قصة ، بل قصتان :

فلقد كنت ذات يوم اقوم بزيارة احد الاصدقاء . وصادفت لديه احد زعماء الاحياء . وكان من هذا النوع المنتفخ الاوداج ، المكتنز لحما وشحما ، الذي يتنفس من فمه وانفه معا ، ويتحرك في صعوبة ، وكان مغرورا بنفسه يحسب ان العلم يرافق المركز المالي او الاجتماعي فما دام هو زعيم حي فيجب ان يكون اعلم اهل الحي واذكاهم ، وان تكون كلمته زعيمة الكلام على مذهب (كلام الملوك ملوك الكلام) . وكان قبل دخولي ، قد بدا حديثا عن الصين والهند ، وسعة كل منهما وعدد سكانهما ــ وحين يتحدث عن موقع كل منهما من الاخرى

لاحظت انه يقول الهند تقع الى الشمال والصين الى الجنوب ، وتكرر ذلك عدة مرات فاعتقدت انه من واجبي ان الفت نظر الزعيم المحترم الى هذا الخطأ غير المقصود ، وفي منتهى اللطف واللباقة ، ابديت له الملاحظة ، مشيرا الى انه ربما كان يقصد العكس ، وان الخطأ خطأ لفظي مجرد . ولكن دهشتي كانت عظيمة عندما رأيته يتمسك برأيه ويدافع عن صحته ، نافيا ان ما قاله كان نتيجة خطأ لفظي ، مصرا على ان ما قاله هو الصواب ، وانه لا يسمح لاحد ان يصحح له رأيه وهو من هو ! . .

عند هذا اعتبرت ان لا فائدة من متابعة النقاش والتزمت الصمت التام . وبعدما انصرف الزعيم الخطير ، سألني صديقي صاحب الدار ، ما هو سبب تراجعي وسكوتي ــ خلافا للعادة ــ وانا على حق ــ فقلت :

ــ « اسمع ، يا صديقي ، اهون علي ان انقل الهند من الجنوب الى الشمال من ان اقنع مثل هذا الجاهل المعرق في جهله » .

هذا هو اساس عبارة « نقلنا الهند ! » .

اما العبارة الثانية « المطرة » فلها قصة اخرى :

كنا مرة نجتاز فترة من فترات الارهاب ، التي طالما عرفها شعبنا في حياته النضالية الطويلة . ومن المعروف ان افظع وسائل الارهاب هي مفاجأة البريء المنصرف الى عمله وكفاحه من اجل العيش بتهمة كاذبة بقصد اذلاله وهدر كرامته ، او تحصيل ضرائب وهمية من مواطنين غير مدينين بها ، او فرض غرامات جماعية على قرية بكاملها بحجة ان مخالفة اقترفت بجوارها ، او التذرع بهذا كله من اجل سوق المواطنين الى السجون وابقائهم فيها اشهرا بلا محاكمة وهم رهن التعذيب الجسدي والنفسي.

ومن الطبيعي ان يختار لتنفيذ

هذه الاعمال رجال اجلاف لهم نفسية اللصوص وقطاع الطرق وفيهم جوع مزمن يجعلهم يخافون دائمـا ان يفقدوا وظيفتهم فيعودوا الى جوعهم ولذلك تراهم يصعدون غطرستهم ووحشيتهم باستمرار ارضـاء لسادتهم تماما كما تفعل كلاب الصيد حين تضحي حياتها من اجل جلب الطرائد لصاحبها .

كنا في احدى تلك الفترات حين دعينا ، ظهر ذات يوم ، الى مضافة المختار . وكان لديه ضابط مـن ضباط الحرس السيار ومعه عـدد من الجنود . وحينما اجتمع العـدد المطلوب من المواطنين المسؤولين في القرية ابلغهم الضابط انه قـادم ليجبي غرامة مقدارها كذا ، وانه لن يبرح وجنوده القرية الا بعد قبض الغرامة بكاملها . وكان معه جـابٍ يحمل حقيبة يدوية فيها سجـلات وايصالات لكي تتخذ العملية مظهـر الامر المشروع . وكان القرويـون يعرفون ماذا يعني قوله : « لن ابرح القرية وجنودي الا ....» كانوا يعرفون ان هذا يعني ان كل مـا في القرية من جداء وحمـلان وديـوك ستذبح خلال تلك الاقامة لتقـدم طعاما للضيوف المحترمين ، وان كل ما في البيوت من شعير ستستهلكه ركائب الضيوف ، وان كل هـذا لا يغني دفع الغرامة بالتمام والكمال .

وكان الناس يجادلون ، يحاولـون اقناع الضابط بعدم قدرتهم على الدفع :

— من اين تريدنا ان نجمع هـذا المبلغ في سنة القحط هذه ؟ ليـس لدينا مؤونتنا ولا بذارنا ولا علـف لمواشينا ، اتقوا الله فينا ، يـا نـاس !

— نحن ابرياء ، لم نصدر عنـا مخالفة ، ولا اقترفنا جرما ، لمـاذا تغرموننا ؟

— اعرفوا من هو المخالف وعاقبوه ، اشنقوه اذا شئتم ، ولكن لا تظلموا الابرياء !

— ما هذه المصيبة ؟ هاجر نصف سكان القرية الى اميركا ، او افريقيا ، او لبنان ، اتريدون ان يهاجر النصف الباقي ؟

وكان الضابط يزداد اصرارا ، واذ يرد على كل متكلم يمزج التهديـد بالشتائم ، ويخرج كل ذلك بصوت هادر كالرعد ، حتى تصبب جسمه عرقا غزيرا من شدة الجهد . وفيما هو في اوج احتدامه اذ هو يلتفت الى احد الحاضرين ويأمره قائلا :

— « هات المطرة ، يا ولد ! »

والتفتنا جميعا الى الجهة التـي كان يشير بيده اليها ، فلم يكـن فيها مطرة ، ولكن ...

ووقفت مخاطبا الاهلين : « لينصرف كل منا الى بيته ، ولنعد بعد ساعة واحدة ، لا اكثر ، وكل منا حامـل نصيبه من الغرامة ! هلموا ، يـا قوم ، فانا اخبر منكم ! »

وسألوني عن سبب تبدلي هـذا وقبولي بالدفع بعدما كنت ادافع عن الاهلين ، فاجبتهم : « انني سأشرح لكم الامر خـارجـا . اما الآن فلننصرف ! »

وحين صرنا خارج المضافـة ، تجمهروا حوالي ليعرفوا سر تبدلـي ، فقلت لهم :

— « يا جماعة ! الم تروا ما هو الشيء الذي كان معلقا على الجدار في احدى زوايا المضافة والذي كان الضابط يسميه « مطرة » ؟ فالذي لا يفرق بين « الحقنة » المعـدة لغسيل المعدة ، و« المطرة » المعدة للشرب ، لا يجوز ان نناقشه بالمنطق والمعقول ، ولا يجوز ان نعانـده . فاولى بنا دفع الغرامة واتقاء شره وشر زبانيته »

— هذه ، يا صديقي قصة « المطرة » فهي مع كلمة « تقلنا الهندا » توفران علي الكثير من الوقت والجهـد . فاذا لم نفد من تجارب حياتنا التي مرت ، فلا نكون جديرين بالحيـاة . وصدقني انني اردد هاتين الكلمتين عشرات المرات في اليوم ، لان امثال ضابط الحرس السيار ذاك ، مـا زالوا كثرة تعـج بهم دنيانـا الحاضرة ! ...

دمشق — سعيد ابو الحسن

الشوق الهائم

★

خفق القلب حين شام بعينيـك بريقـا يلـوح اول وهلـة
وطغى الشوق والحنين بأعراقي وفي الروح مـن حنينك شعلـة
انمو الحب يـا نعيمي فانسـي — شارد الفكر في الاماني المقلة
يا رفيف الرؤى بأفق حياتي — وشذا الذكريات يسكب ظله
هل الى ثغرك الحبيب المفدى — من رجاء فقـد قضيت لنهلـة
عربدت صبوتي وجن اشتهائي — وسبتني شفاهـك المسمطـة
كيف ترضين لي غربة الروح يا — انس قلبي عبر الحياة الملة
في سبيل الغرام ما انـا القي — فارحمي مغرمـا يعيش بذلـه
كل ما في الوجود لـو خيروني — يا حياتي فدى لقلة « نهلـة »

بغـداد — عبد الخالق فريد

يوميات مقاتل في الجبهة

محمود محمد كلزي

حلب – سورية

السبت ٦ – ١٠ – ١٩٧٢

منذ اعوام تولت وانا في خندقي
انتظر اليوم الذي اثأر فيه للكرامه
منذ اعوام مضت ..
انتظر اللحظة اسقيها عيوني ..
واشد العزم .. احبس بقايا الصبر ..
في صدري .. والذات الشهامه ..
امني ذاتي .. وشاخت الليالي ..
وانا ارنو الى الافق ..
واعدائي ينامون على ريش النعامه ..
كلما لاح على الافق شعاع ..
خنق البغي لياليه السنى ..
والتفت نيرانه تحرق اغصانا من الزيتون
في ارضي .. وفي وجهي تميت الابتسامه ..
كلما رف وراء الافق سرب من حمام ..
اسقطوه برصاص الغدر .. فوق الشاطيء
الحالم بالحب .. والغاد السامقه ..
ساعة الصفر دنت ..
يا حالة اللاسلم واللاحرب كوني لهبا ..
ان لهذا الفارس المصلوب ان يرمي زمامه ..
وانفجر ايها البركان في صدري حقدا ..
ليعودوا اليوم على صدري الحمامه ..

الاحد ٧ منه

انـي اليـوم اقاتـل ..
حقـدي اليـوم يقاتل ..
اصراري اليـوم يقاتل ..
حبي للارض الحلوة .. للزيتون ..
وللكـرم السـرول .. يقاتـل ..
صار الصبر بصدري حقدا ..
وغـدا الحـب القاتـل ..
وغـدا النـور جحيمـا ..
ينبع من ارضي .. والصمت زلازل ..
وزحفت الـى ارضي الشما ..
واعانق احجـار جبالي ..
والرمل واشجار بلادي ..
ونوارس تبكي .. وسنابل ..
وحملت جراحـي ..
وجراحي في شمـس حزيران تنزف ..
وتجلت في قبلة تشرين .. انتصار ..
يجرف عـن ارضي الثلج ..
لتنبت عشبا اخضر .. يتحدى الحقد الهائل
الوادي يخبـر عنهم ..
والفرقـة .. والصخر ..
والشوك تلقا اليهم .. والصبار ..

والاصبع فوق زنادي اصرار ..
لـن يبقى في ارضي باطـل ..
لـن يبقى في ارضي باطـل ..

الاثنين ٨ منه

اني على ارضي السليبة ..
اسقي اليوم ترابها ..
في عيني .. في احضاني ..
واضم جرحي الراعف الهادر ..
لونه القتال الظافر .. الثار العصيبة ..
ما زلت اولي ان درب النصر ..
مزروع بالشهادة ..
والى اليوم محتضن لهيبه ..
بارودتي ذاتي ..
وراحتي .. قنابلي العصيبه ..

الثلاثاء ٩ منه

اراك اليـوم يا وطني ..
اراك اليوم تعبر جسر مأساتي ..
تمزق آخر الكلمات ..
تقتل حزني المدفون ..
تبيح كـل آهاتي ..
اراك اليوم تنصب الف جسر ..
للعبور .. الى ضفاف النصر ..
اراك اليوم في سيناء .. في الجولان ..
تعبر مـن حدود القهر ..
وتصنع مـن دموع الليـل ..
مـن نـور العيـون ..
ومـن دمـاء الحر ..
خيـوط الفجـر ..
وتصنع الف فجـر للغـد الآتي ..

الاربعاء ١٠ منه

مـا زلت اقاتـل ..
لن اتراجع عن شبر من وطني ..
وسيشهد كـل دروبي ..
بمعالي .. ودماء اخي ورفيقي ..
دموع الفرح ..
بعيني امـي .. وابي ..
كي تنبت املا .. وسنابل ..
مـا دمـت اقاتـل ..
مـا دمـت اقاتـل ..

الخميس ١١ منه

سقطت خفافيش الظلام ..
ودمشق عين لـن تنام ..
وهوت على ارض البطولة ..
كالسراب (١) .. كومضة البرق الخلوب ..
لتستحيل على مرابعنا رمادا او حطام ..
وتناثرت .. مزقا .. واشباحا (٢) ..
اكتست بالتماع النور من وهج الضرام ..
هجمت كاسراب الذباب ..
يلونها غضب النسور ..
بثت في اسرابها فنا الحمام ..
الارض تزخر بالنسور ..
من القرى .. ومن الجبال .. من الحقول ..
من المصانع .. من شآبيب الغمام ..
تتلاقى كالطير الابابيل النسور ..
عـلى البغاة ..
عيوننا شاخصات للسماء ..
تصب جـام الانتقـام ..
الارض حبلى .. والنخيل ..
لقطرة المطر البخيل ..
تميل فوق العشب يرشفها الرغام ..
قد ازهر الليمون يا وطني ..
وعادت العصافير .. كأسراب الحمام .

الجمعة ١٢ منه

عـاد التتار ..
يطعنون في الصباح ..
يحملون الحياة في الظهر دمار ..
عيونهم .. مسلولة على الجدار ..
مسلوبة على بقية انتصار ..
عـاد التتار ..
جنود « هولاكو » الذين مزقوا الاسفار ..
واغرقوها في القنال ..
فـي ربـى الجولان ..
في سيناء في ارض الفخار ..
؟ ... لـن يمروا ...
بردى مقبرة الغزاة ..
قاسيون مرتع النجوم ..
ميسلون .. في عيونهم سعار ..

---

(١) السراب ترجمة للميراج ، (٢) الشبح ترجمة للفانتوم

حلب — محمود محمد كلزي

الشاعر اسماعيل باشا صبري

بقلم سمير وهبي

* * *

منذ خمسين سنة ، وفي يوم ٢١ مارس من عام ١٩٢٢ توفي الشاعر اسماعيل باشا صبري بالغا من العمر ٦٩ سنة ، قضى جزءا كبيرا منها في الوظيفة العامة وفي قرض الشعر .

وبالاطلاع على ملف خدمته الحكومية المحفوظ بدار المحفوظات المصرية تبين لنا التواريخ الهامة في حياته العملية :

ولد اسماعيل صبري في القاهرة في اليوم السادس عشر من فبراير ١٨٥٤ (١٨ شعبان عام ١٢٧٠هـ) والتحق بمدرسة المبتديان في ٢٢ اكتوبر سنة ١٨٦٦ (١٢ جمادى الثاني عام ١٢٨٣ هـ) ، ثم بمدرستي التجهيز والادارة فاتم دراسته بهما في ٢٢ نوفمبر سنة ١٨٧٤ (١٢ شوال ١٢٩١ هـ) ، وتخرج في تلك المدرسة الاخيرة التي تحولت فيما بعد لتكون اول مدرسة حقوق في مصر ، وهو في العشرين من العمر . ثم التحق بعد ذلك بالبعثة المصرية الى فرنسا ، فدرس الحقوق بجامعة ايكس AIX حيث تخرج في ١٣ (—) — ١٨٧٨ بعد ان نال درجة الليسانس منها .

ثم تمضي به رحلة الحياة ، فيبدأ مساعدا للنيابة العامة بالمحاكم المختلطة بمحكمة مصر الابتدائية في ١١ يوليو ١٨٧٨ ، ثم وكيلا بمحكمة المنصورة المختلطة في ١٧ فبراير سنة ١٨٨٢ ، ثم بمحكمة طنطا الابتدائية الاهلية في اول يناير من عام ١٨٨٤ ، ثم وكيلا لمحكمة بنها في ١٢ مارس ١٨٨٦ ، فرئيسا لمحكمة الاسكندرية الاهلية في ٢٢ يونيو ١٨٨٦ . وانتقل بعد ذلك الى القضاء العالي بمحكمة الاستئناف الاهلية بمصر في ٢٩ نوفمبر ١٨٩١ ، ثم بوظيفة نائب عمومي من الحضرة الخديوية في ٢٢ ابريل من عام ١٨٩٥ . وفي اول مارس من العام التالي عين محافظا للاسكندرية ، فظل بها نحو ثلاث سنوات ونصف ، قبل ان يعين وكيلا لنظارة الحقانية (العدل) في ٣ نوفمبر ١٨٩٩ . وظل بوظيفته هذه حتى استقال منها في ٢٨ فبراير ١٩٠٧ وهو في الثالثة والخمسين من عمره . وكانت استقالته من الوظيفة انه بلغ المرتب الكامل لها ، فطلب احالته الى المعاش للتفرغ الكامل للادب .

وعاش في قصر له بالقاهرة يقع بشارع القصر العيني امام كلية الطب .. الى ان لبى نداء ربه ، بعد اصابته بذبحة صدرية في اليوم الحادي والعشرين من مارس سنة ١٩٢٢ ودفن بالامام الشافعي .

واذا كنا قد اطنبنا بعض الشيء في سرد مراحل حياته ، فلكي تبين ان حياته كانت مليئة بالعمل والمسؤوليات ، وقد شاء ان يؤدي عمله على خير وجه ، مما جعل طريق الترقي امامه مفتوحا على الدوام ، فانعمت عليه الدولة بالاوسمة والنياشين . ونال من التقدير لرفعه ، حتى لقب ، وهو في حياته ، بشيخ الشعراء ، خاصة وان بيته كان مفتوحا للادباء واهل الفكر ورجال الفن . وكان حافظ ابراهيم من بين الذين يغشون مجلسه ويخالطونه ، بل ويعرضون عليه اشعارهم ، وقد اعترف بذلك حافظ في رثائه ، اذ قال :

لقد كنت اغشاه في داره … وناديه فيها زها والعصر
واعرض شعري على مسمع … لطيف يحس نبو الوتر

اما شوقي ، فلم ينكر فضل اسماعيل صبري عليه وقد اخذ منه .. وتماما كما تعلم اسماعيل صبري من البارودي امام الشعراء في اثناء فترة شبابه ، كذلك تعلم شوقي من اسماعيل صبري الذي كان يكبره سنا ومقاما . وقد قال شوقي في ذلك :

ايام امرح في غبارك ناشئا … نهج المهار على غبار خصاف
اتعلم الغايات كيف ترام في … مضمار فضل او مجال قوافي

فشوقي يقول بانه في ايام نشأته ، تهيج في مسبل صبري ، تماما كما كانت الفرسة العربية « خصاف » تجري في مضمار السباق !

وفي مواضع اخرى من قصيدة شوقي ، يطلق عليه بانه « الخليل الوافي » ، وانه قاضي القضاة . يقول شوقي في رثائه :

قاضي القضاة جرت عليه قضية … الموت ليس لها من استئناف

وفي الحقيقة ، شهد جميع من عرفوه على دماثة خلقه .. ولطف معشره ولين عريكته .. فكان محبوبا من الجميع . شهد بذلك معاصروه ، ومنهم على سبيل المثال عثمان باشا مرتضى ، الذي اشاد بثلاث صفات كانت متوفرة فيه هي (حبه الحق وحبه الصراحة وحبه الكرامة) ، وكان من بين من عرفوه الدكتور محمد صبري (السوربوني) الذي قال عنه : « امتاز هذا الرجل في حياته بحب الصراحة ، كما امتاز الشاعر في شعره بالشعور . وهل الصراحة غير النطق بالشعور ، فنظم في الحب ، والحب اصدق عاطفة . وامتاز الرجل بحب الحق ، كما امتاز الشاعر بالحكمة .. وهل الحكمة غير حب الحقيقة ! نظم في الموت وهو ابلغ حقيقة ، وامتاز الرجل بحب الكرامة ، كما امتاز بالحماسة . والرجل الابي يغار على كرامته ، فنظم في الوطن .. والوطن اشرف ما يتحمس له المرء اذا غار على كرامته . هذه العوامل الثلاثة التي انطقته بالشعر . وهي اذا رسخ عامل واحد منها في صدر الانسان صيره شاعرا ، فكيف اذا اجتمعت الثلاثة لواحد ! »

هذا كلام الدكتور محمد صبري عن صديقه

اسماعيل باشا صبري وقد عرفه معرفة وثيقة في مسلة الثلاث عشرة سنة السابقة على وفاته . حتى اذا ما قضى نحبه سارع هذا الصديق الى تاليف كتاب عنه في نفس سنة وفاته .

ومن الذين ذكروه بالخير نجد الشاعر خليل مطران، الذي اعترف ايضا باستاذيته له . قال عنه :

اي صاحبي فقد عفى استاذنا	البر الحبيب
ويقي فريسي بيننا	كل الذي كان قريب
الشعر الفنا معا	[illegible]

لم يقل صبري الشعر طلبا المجد او ابتغاء منفعة ، وانما انشده من فرط رقة مشاعره . لهذا السبب اتسم شعره بالصدق والاصالة . وكثيرا ما ارتجله وهو ما زال طالبا بالمدارس . دعي مرة في حفل غنى فيه (عبده الحامولي) فلم تعجبه كلمات الاغاني واذا بالمغني يقول بانه على استعداد للتلحين اذا ما جادت قريحته بقصيدة. فلم ينته الحفل ، حتى كان صبري قد نظم كلمات رقيقة يقول فيها :

[illegible] الاغصان	من [illegible]
وورد خده سلطان	على الازاهر
ما الحب كله اشجان	يا [illegible]
والصد ويا الهجران	جزا [illegible]

وقد غنى هذا الدور ، فيما بعد ، المطرب صالح عبد الحي .

وله ادوار غنائية ، صاغها من الشعر الغنائي الرقيق ، مثل :

يا قلب اذ انت حبيب	[illegible]
[illegible]	[illegible]
صدقت قولي ورايت	ذل [illegible]
ياما نصحتك ونهيت	لو كنت تفهم

او قوله :

اعرفي لحسنك اوراق	والكتب والدون
وابات مريع الاشواق	واحسب واخمن
والهجر وصبابة وفراق	يا ربي هون
وارحم القلوب العشاق	[illegible]

ومن اغانيه ايضا ما لحنه محمد عثمان وتغنيه اليوم كارم محمود :

الحلو لما انعطف	[illegible]
والقد ـ آه ـ ما انقطف	ورده يسبي العيون
لا بدا لي الحبيب	يشبه لبدر التمام
صار الفؤاد في لهيب	في الحال وهام بالغرام

ارحم يا سيد الملاح	[illegible]
[illegible]	من حر نار الفؤاد
الحب [illegible] عجيب	[illegible]
ذكر الحبيب فيه طرب	ودمع عينه [illegible]

كان اسماعيل صبري مغرما بالمقطوعات القصيرة . ولهذا السبب نجد اغلب قصائده لا تتجاوز عدة ابيات تتراوح بين الخمسة والعشرة ، او دون ذلك بكثير . وكثيرا ما كانت مقطوعاته لا تتجاوز البيتين . وكانت براعته تكمن في شحن هذين البيتين بالمعاني الزاخرة فضلا عن رقة اللفظ . فهو من المعجبين بالبحتري وقد اقتفى اثره ، فجاء شعره سهل الديباجة مع احكام صنعته . ووصفه خليل مطران بانه « شديد النقد لشعره ، كثير التبديل والتحويل فيه ، حتى اذا استقام على ما يريده ذوقه من رقة اللفظ وفصاحة الاسلوب اهمله ثم نسيه » . ويبرع في موضوعين ضرب كثيرا على وترهما . وهي الحكمة والوجدان . لنستمع اليه في مقطوعته عن (الكرامة) ، وهي من بيتين :

الكسرة من رغيف خبز	تسوغ بالقسح والكرامة
اشهى الى الحر من طعام	يختم بالشهد والملامة

فالكلام هنا بعيد عن التجريد اللفظي والنصح ، وانما يتخلله وصف الطعام مع المقارنة بحالتي الكرامة والذل ، فضلا عن المحسنات البديعية .

او انظر الى ذلك البيتين الزاخرين بالوصف ، حتى لكان كل شطرة فيهما تعبر عن مشهد تمثيلي كامل . كتب عن الصداقة يقول :

اذا خانني خل قديم وعقني	وفوقت يوما في مقاتله سهمي
تعرض طيف الود بيني وبينه	فكسر سهمي فانثنيت ولم ارم

ففي الشطرة الاولى ، افترض ان حبل الوداد قد انفصم بينه وبين الصديق ، وجاءت القطيعة على اثر عقوق من جانب صديقه .. حتى اذا انتقلنا الى الشطرة الثانية وجدنا الشاعر يستعد للانتقام وقد اخرج سهامه يعدها لمجازاة الشر بالشر ، ومقابلة العقوق بمثله ، فان تفويق السهم معناه ان يضع الرامي ، على الوتر ، شقه الموجود في راسه ، استعدادا للنزال .. غير ان الشاعر في الشطرة الثالثة يتذكر ما كان بينه وبين هذا الصديق من ود سالف وصحبة قديمة تقف بينهما كالطيف ، حتى اذا ما استعاد صوت الماضي ، عمد الى سهامه وكسرها ، وقد ملات الذكريات قلبه ، فعفا عن الصديق العاق ونسي الاساءة . ان براعة هذا الشاعر تكمن في دقة التصوير فحكمته لا يقولها بالفاظ مجردة ، وانما يكسوها بالصور المرئية ..

وفي باب الحكمة ، كانت له كلمات بليغة صاغها في اسلوب رائع ساحر ، وكانها من جوامع الكلم . كتب :

احب التوحيد في ثلاثة : « الله ، والمبدا والمراة »
واحب الحرية في ثلاثة : « حرية المراة في ظل زوجها
وحرية الرجل تحت راية الوطن
وحرية الوطن في ظل الله » .

وجدير بالذكر ان « صبريا » بدا قرض الشعر في الموضوعات التي اعتاد معاصروه قول الشعر فيها ، مثل مدح الخديوي والمناسبات . وكان في بدايته متكلفا .. ولكن ما ان تمضي السنون حتى يتحرر ويميل شعره الى الاصالة ، فيكشف شعره الوجداني عن رقة متاصلة وفهم دقيق لروح الشعب المصري وقرب من اسلوبهم العامي .

والى جانب شعره الغنائي ، نجد في ديوانه شعراً وطنيا وآخر فكاهيا ومعارضات ، مثل تلك المعارضة لقصيدة ابي الحسن الحصري المعروفة :

يا ليل الصب متى غده   واقيام الساعة موعده

وله شعر صوفي يكرر فيه دائما خشيته في الله والامل في عفوه . انشد يقول :

خشيتك حتى قيل اني لم اسل   بانك تعفو عن كثير وترحم
وامنت حتى قيل ليس بخائف   من الله ان تشوى الوجوه جهنم
فشاني في حالي يا رب حيرة   بها انت مني دون البرية اعلم
اقلني من الشك الذي قد احاطني   فشاني في حالي يا رب مبهم
من الصبح ترفع عنك استقبل الهدى   صريحا وينجو نهج الحق مجرم

فهو في قصيدته هذه يرجو من الله ان يكشف له عن حقيقته حتى يكون على بينة من امره ، فيهتدي ان كان ضالا ويحسن ان كان مسيئا .

ثم يقول في وجود الله ، وقد وجد ان خلق الانسان برهان على ذلك :

تعالى الله لا يعلم كنه الله انسان
ابحث عنه في واد   ومنه الكون ملآن
اكابر راتك عليه — لسر الخلق — برهان

وعندما كان محافظا بالاسكندرية ، عام ١٨٩٧ ، اصيب اسماعيل صبري برضوض على اثر اصطدام القطار به وهو في طريقه الى العاصمة ، فغاب عن الوعي لمدة اسبوعين .. فلما افاق من غيبوبته الطويلة تمنى ان يكون الموت قد طواه فعلا .. فنظم في هذا المعنى بيتين مشهورين :

يا موت هاانا فخذ   ما ابقت الايام مني
بيني وبينك خطوة   ان تخطها فرجت عني

ولما كان الموت مصير كل حي ، فهو يجد فيه راحته :

ان سئمت الحياة فارجع الى الار   ض تنم امنا من الاوصاب
تلك ام احنى عليك من الام   التي خلفتك للاتعاب
لا تخف فالممات ليس بماح   منك الا ما تشتكي من عذاب
كل حيث يال وان خالف الغلب   وان ما نعى فبي فنون الكتاب
وحياة المرء اغتراب فان ما   ت ، فقد عاد سالما للتراب

ويكرر نفس المعنى في مقطوعة من بيتين

مقابر من ماتوا مواطن راحة   فلا تنكه السر الهالكين جزوعا
وان تك ميتا ضمه القبر فاخشر   ليت على فقيد الحياة دموعا

حين كان اسماعيل صبري محافظا للاسكندرية ، حدث ان اراد الزعيم الوطني مصطفى كامل ان يلقي خطبة هناك ، فقد خلت السلطة إلمنعه ، خشية قيام المظاهرات هناك ، فما كان من صبري الا ان قرر بانه مسؤول عن الامن ، فاقام الاجتماع على مسؤوليته .

كان اسماعيل صبري يحب جمال المرأة ، فارتفع بهذا الجمال الى درجة عالية من السمو الفكري ، حتى لكانه وقف امامها موقف الخاشع وظلنها بروحانية رفعها الى مقام عال قريب من السماء . انشد يقول في قصيدة نظمها لتترجم الى الفرنسية بغية نشرها في مجموعة مختارة من الشعر العربي :

يا لواء الحسن احزاب الهوى   ايقظوا الفتنة في قلب الفؤاد
فرقتهم في الهوى ثاراتهم   فاجمعي الامر وصوني الابرياء
ان هذا الحسن كالماء الذي   فيه للانفس ري وشفاء
لا تذودي بعضنا عن ورده   دون بعض واعدلي بين الظماء
انت يوم الحسن فيه ازدحمت   سائل الاجيال يزجيها الرجاء

ويستمر في هذه المعاني الرفيعة الى ان يختتم القصيدة بقوله :

انت روحانية لا تدعي   ان هذا الشكل من طين وماء
وانزعي عن جسمك الثوب يبن   للملا تكوين سكان السماء
وارى الدنيا جناحي ملك   خلف تمثال مصوغ من ضياء

حقا ان « المعاني بعيدة عن ذكر النهود والقدود والفم والعناق ورقة الخصر وكثافة الارداف » كما جاء في وصف خليل مطران لتلك القصيدة عند نشرها في يونيو عام ١٩٠١ .. ولكم تحولت الاراء وتلون الذوق الشعري بعد ذلك بالحسيات وبالاوصاف المجسدة .. ومن غريب المصادفات ان يوم ٢٢ مارس عام ١٩٢٣ وهو يوم وفاة اسماعيل باشا صبري يوافق يوم ميلاد شاعر معاصر ، هو « نزار قباني » الذي يبرع في وصف النساء ، وفساتينهن ونهودهن .. وقد برع في هذا اللون براعة خاصة . فرق شاسع بين شاعر وشاعر .. ولكل منهما رؤية نابعة من مزاجه الشعري .

يقول الدكتور محمد صبري ، صاحب الشوقيات المجهولة ، بان شوقي بك عقب حادثة دنشواي ، ارسل الى « الجريدة الاسبوعية » دورا غنائيا وقعه باسم « وطني حزين » مع كلمة يقول فيها : « لنجعل شعارنا المشنقة والتقليس الشنقة ؟ فهي ضرب حياة امة » . اما الدور فكانت كلماته تقول :

يا حمامة دنشواي   نوحي الصبر جزاي
نحن اصحاب السلام   كلنا نبغي السلام
الشنق حامي   والضرب نابي
بين الحامي   ما فيش كلام

وغنى عبد الحي حلمي هذا الدور لشوقي في الحفلات الخاصة . كذلك كان الشان مع اسماعيل صبري ، اذا الف هو الآخر دورا وطنيا ذاع بين الناس . وقد قيل انه ذهب الى استقبال البارودي باشا عقب عودته من المنفى في عام ١٩٠٠ التسليم عليه ، فقال البارودي لاسماعيل صبري : « لماذا لم تعملوا دورا بمناسبة الاحتلال واحداث وادي النيل » فقال اسماعيل صبري : « نعمل يا باشا » . فرد البارودي : « وانت قاعد ! » فنظم في الحال اسماعيل صبري دور « عشنا وشفنا سنين ... » وسلمه لعبده الحامولي ، لسلم عبده بدوره الاغنية لمحمد عثمان لتلحينها . وغناه بعد ذلك سي عبده وكبار المغنين .

غير انه تبين بعد البحث ان هذه الرواية تفتقر الى الاثبات وتنقصها الدقة كما يقول الدكتور محمد صبري . والواقعة الصحيحة في هذه الرواية ان الدور من نظم اسماعيل صبري ، وهو من اهم ادواره الغنائية ، وان خلا

الشهيد

هدت عليه عوادي الحرب ما فتئت ... تضطرب الجسم بالنيران الوانا
انثنى عليه بارزاء مسندة ... كان الدهر للذات بها دائبا
وبات يشكو من التجريح منجعه ... وكان قد ظن ان الجرح قد هانا
وظل يمشي من آماله شجنا ... من ذا يظن بأن الموت قد حانا
وصافح الفجر بعد الليل مرتميا ... على الرمال فحيا الرمل شجعانا
ووأول النجم في الظلماء متعبا ... عل النجوم تزيد الثار نيرانا
كم ضاع منا من الشبان اشرفهم ... في موكب النصر ارواحا وابدانا
ونذكر الآن جرحانا وما خطرت ... بالفكر آونة والنفس احيانا
يسري الجريح الى الغابات يطلبه ... موج الاماني فيمشي فيه حيرانا
ويدفع الموت عن اكتاف حزنه ... تبلى الخلود ولا تبلى به شانا
يبيت يستنشق الآمال عاطرة ... ويهمس العزم في الآذان قرآنا
وارحمة لشهيد بات مكرمة ... افنى الليالي نضالا ، لم حرمنا
كسيم حلم العدو بقانا مخلدة ... وكم اضاع رجالا لم فرسانا
الله يعلم كم تسري بلوعتنا ... نبكي الشهيد بدمع بات هتانا
هل يلجب الدمع ارزاء مجمعة ... او هل يخفف اسواء واشجانا
او يجمع الصبر آمالا مبعثرة ... او يبعث النصر من بالامس قد كانا
حسب الشهيد بنصر قد اتيح له ... ذكرى الخلود فبات اليوم ريانا

عين شمس – مصر

جميلة العلايلي

ديوانه منه . والثابت الآن ان هذا الدور قد نظمه في مناسبة سابقة وان عبده الحامولي غناه في ليلة ٢٨ نوفمبر ١٨٩٥ في حفل زواج سعد باشا زغلول . تقول كلمات الدور :

مشينا وشفنا سنين
ومن فاتش يشوف العجب
شربنا الصفا والانين
جعلناه لروحنا طرب
وليلنا لعلماه وصال
واحنا تصيفنا خيال
كدا العمل (٣ مرات) يا منصفين .

ونختتم دراستنا بالقول بان شاعرا مصريا يشترك مع اسماعيل باشا صبري في الاسم واللقب وقد ولد بعده باثنين وثلاثين سنة ؛ ونقصد به اسماعيل صبري الذي لقب نفسه (بابي اميمة) (١٨٨٦ – ١٩٥٣) والذي توفي في سنة ١٩٥٣ عن ٦٧ عاما . ويشترك ابو اميمة مع اسماعيل باشا صبري في ضروب كثيرة من الشعر الاجتماعي والغزلي والوصفي . فالاثنان وصفا الاهرام وصفا بديعا وللاثنين غزل رقيق . يقول ابو اميمة في ستريس او علواء منف :

فاذا شحوب مرالت عن الم الهوى ... الفيا اسيا حائرا ولهانا
وتمت عن معنى الغرام ملابه ... وكان خلق فؤاده ما كانا

وقد غنت له المطربة « اسمهان » قصيدة بعنوان « اين الليالي » . وله قصائد غزلية في غاية الرقة ، حتى لكأنها تضاهي قصائد سميه ، نذكر منها :

خلونا ودارت بيننا نشوة الهوى ... وقد كنت اشكو هجرها وهي تسمع
الثمت دموعي حبا لكن سرائري ... واعلن سلبي حول ما كنت اجزع
فقالت وبينها تكفكف ادمعي : ... شهيد الهوى العذري لا يتوجع

او قوله :

وقد خلونا وجو الحب راق لنا ... وراح عنا شديد الخوف والحذر
وبيننا دار كأس الحب تحمله ... يد الطهارة في وشي من الزهر
تبادلت شفتانا بيننا الغزلا ... ازال في لفظه عن نسمة السحر
حينا ما اشد بوجد الهوى ... طيف العفاف يصيح بي منتظر
فتاح ... الطهر وانبسطت ... منسي لمن فتنتني كل منتظر

واذا كانت قصائد اسماعيل صبري الكبير تميل الى المقطعات القصيرة والاقلال ، فان ابي اميمة على عكسه ، فان له قصائد في الكونيات والدين والزهد تبلغ المئوية منها وهمزيته الكبرى نحو من الف بيت » .

رحم الله اسماعيل باشا صبري في ذكراه الخمسين.

مصر الجديدة

سمير وهبي

نسيم نصر

شموع متجولة

بقلم نسيم نصر

* * *

ـ الارض الخيرة تغطي جراحها بالمواسم .

ـ النحلة تموت جوعا ولا تنزل ضيفة على اللبابة .

ـ عير الغراب البلبل بضعف جناحيه والعبوار ريشه ، في حين كان البلبل يرسل شدوه قاعدة لفن الغناء .

ـ استطاع الثلج ان يموه بنصوع بياضه على كل العيون الا عين الشمس .

ـ عجبت لمن لا ياكل الا في آنية نظيفة ... لم يقوم عن مائدته ليدفع الى الناس حروفا ملونة مسمومة !

ـ اغرب ما في ذئاب الناس انهم يعضون بالسنتهم !

ـ ما اوقح مستنقعا يختزن ماءه اعشاشا لطفيليات الامراض ، عندما يلوم جدولا على توزيع مائه نقيا تحت اشراف الشمس !

ـ قلت لابني : « انت لي ! » فاجابني : « هذا لسان حالي ! »

ـ البخل بالحق ابل وجوه الكرم .

ـ رأت السلحفاة صبية يلعبون بريشات من جناحي نسر ، فادعت انها سقطت منها ...!

ـ نقطة الدم اغلى ما يصونه الحر ... وارخص ما يبذله ...

ـ العطاء الاصيل دفقة مطر ، لا تثمر الا في الارض الطيبة .

ـ عندما تتنفس البنفسجة تخفي الخنفساء راسها .

ـ يبقى قلب الانسان خرابا الى ان تعمره التضحية .

ـ العين الجائعة الى الاطماع لا يشبعها غير التراب .

ـ بصير لا يرى وجه الحق احق بالشفقة من اعمى لا يبصر وجه الشمس .

ـ ابعد الناس عن حقيقة العظمة من قال انها جاءته بالوراثة .

ـ سكير لام العريشة لانها ادخلته المستشفى ... فوبخته لانه ادخلها الخمارة .

ـ عجبت من انسان يفتح نوافذ بيته للهواء والشمس ، ويترك نفسه تتعفن مقفلة !

ـ متى صار الانسان كاسا شفافة تتلون بلون ما تعيه فيها ؟!

ـ قلت لشجرة الغار : « لماذا جعلوا منك اكاليل النصر والعزة ؟ » فاجابت : « لانني اختزن في حباتي طيب دم الشهداء » .

ـ الانسان هو الحيوان الوحيد الذي يفترس ، وهو متخم .

ـ قالوا للوردة : « انت ملكة الازهار » فلبست كل الالوان .. وجعلت صولجان الشوك ...

ـ ما استطاعت الثعالب ان تنظر في وجه الاسد الا وهو سجين او في عجز لكثرة السن .

ـ سالني دجال ان يقرأ لي كفي . فقلت له : « دعني اقرأ لك وجهك اولا ! »

ـ سالت عوسجة زيتونة : « من اين لك هذا الزيت النير الخير ! » فقالت : « من هذه الارض التي تجنين منها اشواكك » .

ـ قالوا للثعلب : « انت سيد المحتالين ومعلمهم » فاجاب : « باستثناء ثعالب الناس » .

ـ تعلم الامانة من الغصن الذي يحتضن ثمار اخيه دون ان يسرق منها شيئا .

ـ من الغبن والظلم ان تلاحق العدالة مختلسي المال، في حين لا يتعرض مختلسو الاخلاق لاية ملاحقة .

ـ ما حزن عاقل على ضائع اغلى من الشرف .

ـ اوكار الوشاية اشد خطرا على المجتمع من بيوت الدعارة وبؤر المخدر والسكر .

ـ من لا يأو الى راحة ضميره، فليس له ماوى يرتاح فيه ، ولا صديق يطمئن اليه .

ـ قالت الحرباء لانسان عاب عليها تلونها : « تلونت حماية لنفسي ، وتلونت ، انت ، اعتداء على اخيك ! فاينا يفعل العيب ؟! »

ـ غيمة سوداء عبست في وجه الشمس وهددتها بعزل ضوئها عن الارض ...!

ترنيمة للحب والبراءة

ترنيمــة غجريــة — أحيت نسمات الطفولــه
وتناثــرت عبــر الأثيــ — ر وفــي حنايانــا الخجوله

والفل مــن خلــف الصخو — ر علــى الطيــر والهضاب
وعلى الصحارى السمر يا — وطني التي احترف العذاب
وجــه .. حكاياه ارتمت — في الليل تحتضن الغيــاب
كــان احتمالاً فــي الخوا — طر يمتطي فوضى الرغــاب

الفارس العربي عــاد
بروائه التــي عــاد
ببراءة الصحراء عاد
بنقــاء هاتيك المهــاد
والســاب وعــد الحب فــي — عينيــك رجعــا لابتهـــال
ولــدفق الطــم الجميــ — ل علــى ارتعاشات السؤال

غنيت حبك يا بلادي
غنيت حبات الرمال
غنيت فيــك طفولتي
غنيت تكسر المحــال

دمشق — سلافة العامري

ـ الارزة شجرة عملاقة لا ترضى حماتها اقزاما .
ـ تباركت يمين الزارع فانهـــا تعقد بايمانها بــين الســماء والارض .
ـ تعلم من النملة صــبرها واجتهادها ، ولا تتعلــم عيشها في خلايا التراب !
ـ الحكم العادل كمبضع الجراح الماهر لا يمتد الــى العضو الســليم .
ـ الكبير في عين الحياة من كبر على الصــغائر .
ـ اضمن وثائق التأمين ثقة الانسان بقوة ارادته .
ـ صديقك من فتح لك عقله قبل ان يفتح قلبه .
ـ رأيت دجاجة تعطي من قلبها ، وانسانا يعطي من يده ، فأي المعطاءين احق بالاعلان ؟ ان كان لا بــد مــن الاعلان .
ـ عين الحاسـد جمرة اول ما تحرق موضعها .
ـ دودة القز فيلسوفة النسـك : مسكها حرير .. ولقواها جناحان لتطير ...
ـ المكابر انسان رهن عقله وضميره لعبودية الباطل .

ـ الطفل اللقيط رسالة كفر بالانسانية ارسلهـــا والدان فاجران الى مجتمع مريض ... فكــان الشــارع بريدهما .
ـ صنارة الصياد اقـــدم شاهد برفــق الانســان ومزاحته .
ـ الايدي المتــرفة سياط تلذع وجه المجتمع الوقح في عرض مخازيه .
ـ حروف القانون الســنة حـــق صامت لا يرتفــع صوته الا من افواه المؤمنين بحقوق الانســان .
ـ اخف انواع العطش خطرا هو العطش الى الماء .
ـ لا يكون القلب دليلا يسير صاحبــه بوحيه الا اذا نام العقل او مات .
ـ الظلم ظلمان : ظلم جبان تتهرب من مسؤوليته ، وظلم جريء تتحمل تبعاته .
ـ اعظم الهياكل قدســية هيكل الضمير ، لانه بنــاء الله لعبادة الحق .

نسيم نصر

جميل بركـــات

استراتيجيــة باب المنــدب

بقلم جميل بركـات

● ● ●

اغلاق باب المندب في وجه الملاحة الاسرائيلية اثبت بالدليل القاطع بان تمسك اسرائيل بشرم الشيخ لا اهمية لـه وغير وارد ، وان هذا « الشرم » سقط عسكريا كسقوط خط بارليف ولكن دون قتال .

ولهذا فواجب العرب ان يوجهوا اهتمامهم لهذه المنطقة وان يحافظوا عليها بكل قوة ، فاهميتها لا تقل عن قناة السويس ، وهي بالنسبة لصراعنا مع العدو تقف جنبا الى جنب مع سلاح البترول ، فاي خلل يطرأ عـلى استعمال هذين السلاحين قد يؤدي بالامة العربية الـى كارثة . فالواجب المقدس يحتم علينا بالرغم من الاختلاف في الاجتهاد ، ان نكون حذرين يقظين حفاظا على مصير امتنا واجيالها القادمة .

وما من شك بان القراء قد ادركوا اهمية هـذه المنطقة من الانباء المتواترة عن اغلاق باب المندب اثر حرب رمضـان ، ولاجل اعطائهم صورة اوضح لا بد من سـرد الحقائق التالية :

اولا : يبلغ عرض هذا المضيق من الساحل اليمني الى السـاحل الافريقي في نقطتين متقابلتين حوالي سبعة عشر ميلا ، وتربض في مدخله جزيرة بركانية صغيرة تكاد ان تكون خالية من السكان ، وفيها عدد من المباني القديمة اشبه بالحصون المنيعة ومنارة للسفن وصهريج ماء تركها الاستعمار جميعها وراءه بلا رجعة .

ويسمي العرب هذه الجزيرة « ميون » بينما يسميها الاوروبيون « بريم » ، وقد سبق لي ان شاهدتها ، وهي تقسم المضيق الى قسمين غير متساويين ، القسم الممتد نحو الشاطيء اليمني لا يزيد عرضه عن اربعة اميـال ويصلح للملاحة ، اما القسم المتجه نحو الشاطيء الافريقي فهو اكثر اتساعا ، ولكن الملاحة صعبة فيه بسـبب الصخور والاطمية التي تعوقها .

ومن قبيل التذكير لا بد من سرد لمحة تاريخيـة خاطفة عن هذه الجزيرة ، فقد احتلها البريطانيون عام ١٨٥٧م ، ولكنهم غادروها ثم عادوا اليها بعد عامين ثانية ، وجعلوا منها قاعدة لتموين السفن بالوقود ، ولمراقبة البواخر غير البريطانية التي تمر منها ، شدة في الحرص على سلامة طريق الهند .

ومما تجدر الاشارة اليه ان ارتفاع هذه الجزيرة من سطح البحر يبلغ خمسة وسبعين مترا ، ومن هـذا موقع ممتاز لاية قوة عسكريـــة تزودها بعض المدافع وزوارق الطوربيد ... عليه سيطرة تامة وتغلقه .

ويحيط هذا الجزء من المضيق ويشرف عليه الساحل اليمني الذي يسمى « الشيخ سعيد » وهـو يرتفع عن سطح البحر ... مائتي متر ، كما انه شديد الشبه بجبل طارق ... حالة شل حركة جزيرة ميون، ... المضيق ... لاجل الملاحة الاسرائيلية ، فان ايـة قوة عسكرية حسنة التدريب ، تستطيع من هذه المنطقة التحكم فيه وتعيد اغلاقه ، لا بل وتسيطر عليه مـن الشاطيء الشمالي..

وبعبارة اوضح فان ميون او بريم ، او سمهـا ما شئت ، تعتبر خط الدفاع الاول لاغلاق هذا الممر الحيوي الهام ، يدعمه خط منيع ثان ، هو منطقة الشيخ سعيد.

ثانيا : كانت فرنسا قد ادركت خطورة الوجـود البريطاني في ميون ، وحتى تثبت وجودها في هـذه المنطقة ، اتفقت حينذاك مع سلطان « الشيخ سعيد » التابع للعثمانيين والذي كان غير راض عنهم ، ليتخلى عن حكم هذه المنطقة ويتنازل عنها مقابل الثمن ... ووقع عقدا بهذا التنازل يوم ١٤ اكتوبر عام ١٨٦٨ م. لـدى القنصلية الفرنسية في عدن ، وهو مثبت في سجلاتها حتى اليوم . وقبل ان يجف مداد هذا العقد نسف الاتراك كافة المنشآت الفرنسية هناك ، ولكنهم اضطروا بدورهم لتوقيع اتفاقية تحافظ على الوضع الراهن ، غير انـهم ما لبثوا ان نقضوها ، وعادوا واستولوا على منطقة الشيخ سعيد بعد انهيار الجمهورية الفرنسية الثانية ، وقـد ذهبت جميع محاولات الفرنسيين عبثا لاعادة احتلالها .

ثالثا : خلال الحرب الايطالية العثمانية التي استولت

فيها ايطاليا على ليبيا واستعمرتها كان الاسطول الايطالي يطلق قنابل مدافعه على القوات التركية المرابطة في تلك المنطقة ليحول دون ارسال نجدات الى ليبيا !

رابعا : اثناء غزو « موسوليني » الحبشة ، طالبت الصحافة الفرنسية بالحاح من حكومتها ، باحتلال هـذه المنطقة ، التي تسيطر على الطرق البحرية للقـارات الثلاث ، آسيا ، وافريقيا ، واوروبا ، ولكن قـوات موسوليني كانت واقفة بالمرصاد ، فلم تقدم فرنسا على ذلك ، ورأت من الحكمة ان توقع معاهدة صداقة مـع اليمن وتعترف بسيادته على منطقة الشيخ سعيد ، وكان ذلك في عام ١٩٣٥.

والطريف في الموضوع ان جزيرة ميون تابـعـة لجمهورية اليمن الجنوبي الديمقراطية ، ومنطقة الشيخ سعيد تابعة لدولة اليمن الشمالي ، فالاسطول الامريكي الذي اكثت الانباء تحركاته في المحيط الهندي ملوحـا بالقوة ، اذا ما اقدم على فتح هذا المضيق حربيا ، فانه يعتدي على دولتين عربيتين في آن واحد ، وهما عضوان في الجامعة العربية وهيئة الامم المتحدة ، واصحـاب السلطة في بلديهما . فأي اعتداء من هذا القبيل سيعرض سلامة العالم لحرب مواجهة نووية لا تبقي ولا تذر ، دون مبرر ، فالعالم يعيش في القرن العشرين الذي وقعـت في نصفه الاول حربان عالميتان صبتا البشريـة الهـلاك والدمار ، ناهيك بالحروب الموضعية التي حدثت هنا وهناك ، وضحاياها عشرات الالوف من الانفس البريئة، تهدر دماؤها عبثا بسبب مطالبة الشـعوب الصغيرة بحريتها وسيادتها على اراضيها وثرواتها دون الحاجة الى اوصياء عليها من الدول الكبرى التي تملك في حوزتها اسلحة الموت ، والتي يطلقون عليها الاسلحة المتطورة .

فقد استعملت هذه الاسلحة ضد الشعوب العربية المحيطة بالاراضي المحتلة من قبل اسرائيل ، فقتلت الابريـاء ودمرت ممتلكاتهم ، ولكنها لم تستطع ازالة هذه الشعوب من الوجود ، لانها اضعف من كرامة الانسان وارادته، ولان شرعة الغاب التي تتمثل بالهدم والابادة لا تنسجم مع وثيقة حقوق الانسان التي وقعتها دول الامم المتحدة على اراضي الولايات المتحدة الامريكية بالذات ، ولعـل حكومتها كانت في طليعة الموقعين ، وكانت لها الـيد الطولى في صياغة الميثاق !

فحقوق الانسان لا تقتصر على اليهود وحدهم بـل هي لسائر البشر دون تمييز فمتى يدرك الامريكيـون والصهاينة بان عرب فلسطين هم من البشر ، وتشملهم هذه الوثيقة ، وان مطالبهم واضحة وصريحة لا لبـس ولا غموض فيها ، وهي تقتصر على عودتهم لديارهم ، ليعيشوا على التراب الذي وجدوا فيه ، وليتنعموا بهواء الحرية في بلادهم ، شأنهم في ذلك كشأن سائر المخلوقات، فهم مسالمون يكرهون الاعتداء ، بناؤون يمقتون الهدم ، ضمائرهم حية ، يؤمنون بالانسان ويقدسون حريتـه ، ويحافظون على كرامته ، ومن أجل هذه المبادىء الشريفة، النابعة من اعماق الوجدان ، تجدهم لا يستكينون للذل ، ولاينامون على ضيم ، يصرون على نيل حقوقهم المشروعة، ولو وقفت كل قوى الشر في مجابهتهم ، ولا بد انـهم واصلون اليها طال الطريق ام قصر ، بفضل جلدهـم وكفاحهم ، ومؤازرة اخوانهم العرب من المحيط الى الخليج، ولهذا دخل البترول المعركة ، واغلق باب المندب ، كمـا اغلقت قناة السويس من قبله ، لا للابتزاز او الاعتداء، وانما لاجل تحقيق العدالة التي صيغت في وثيقة حقوق الانسـان ، المحفوظة في مقر هيئة الامم المتحدة ، بمدينة نيويورك ، كبرى مدن الولايات المتحدة الامريكية .

عمان ـ الاردن جميل بركات

خماسيات شعرية

يا من يعيب علـي انـي كافر
بحضارة وشى الخداع ثيابها
بيني وبينك في الشعور مفاوز
غمر الضباب وهادها وهضابها
ان يجن من هذي الحضارة غيرنا
شهدا فانا قـد جنينا صابها
ولئن زهت بعض الثغور بتبرها
فلقـد روينا بالدماء ترابهـا
والحر يعتبـر السجون مقابرا
ذكناه مهمـا زخرفوا ابوابها

لا تعجبن اذا تبايـن موقفي
وتناقضت في ساعة آرائـي
الحيرة الخرساء تنهش اضلعي
ما حيلتي بالحيـرة الخرساء
دجت الطريق ولا دليل ، الكيفلا
يكبو بهاويـة القنوط رجائي
من كان في وضح الظهيرة تائها
هل يهتدي في الليلة الليلاء
يا صاحبي هيهات تبصر مقلة
تمشي وراء بصيـرة عميـاء

بوانس ايرس ـ الارجنتين زكي قنصل

غنيت حبك

*

يا صفو عمري ، ان اشجتك آلامي   ما صوح الحب فـي جنات احلامي
جعلت مهيعا شوق الحزن ، مؤتلقا   وخفت ان يرتوي مـن جرحي الدامي
غنيت حبك ، لا غنيت ، فلو كشفت   براعم الورد منا عطرها النامي
بلى هدبك شمت السحر مبتسما   فرحت اترع عنـد الهدب آكامي
يا طالما رفت الآمال فـي شفتي   وطالما خنت النجوى لآلامي
فان تشبث بـي صمت ، ويرح بي   همس الحرير ، لاحجامي واقدامي
فرب بسمة كبر لا انتهها   لسر حزني ، ولتغفي شجو ايامي

يا صفو عمري ، هـذا الهمس يقلقني   فـان عتبت ، فقـد اوريت ايلامي
الست في خاطري ، مذ كنت ، اغنية   بثثتها حلو العاني وانغامي
« قد كنت تكتب حلو الشعر » قلت: فهل   سلوت الهامك الماضي والهامي ؟
« قد كنت » قلت . فثار الوجد وارتعشت   بقية الصبر فـي وجداني الظامي
قد كنت حقا !! ومـا زالت تؤرقني   دنيا تحاول الالالي وارغامي
فغضضت طرفي عـن غمر يطاولني   وما عثرت بنمام وشتام
وانت اعلم بـي ، ان جبار طاغية   جلبت طغيانه نعلا لاقدامي
جبروت صحبي وتا فـي منتطع   ورحت البس غفراني لاخصامي
جاوزت احقاد حسادي ، فما التفتت   عيني لما بذروا خلفي وقدامي

يا حلوة البوح في ثغر يرق جوى   الوان حسنك اميت كل رسام
كيف السلو ؟ وهل اسلو هوى عطرا   لولاه لم اسل اوجاعي واسقامي
ان يأذن الصفو بالاحلام نزجيها   فتنتني عبر ارواح واجسام
لسوف اذرو سموم العاصفات غدا   وفوق هدبك القي عطر انسامي

فوزي عطوي

عبدالرحمن شلش

طه حسين نابغة عصره

بقلم عبدالرحمن شلش

• • •

في شخصية الدكتور طه حسين (١٨٨٩ – ١٩٧٣) تبدو صورة عصره ، فقد اجتمعت في شخصيته خصائص هذا العصر من عناء واجتهاد ونضال . ولسنا نجد فيمن سبقوه او لحقوه بسنوات من اجتمعت فيه خصائص السعي الدائب الموصول ، واجتياز كل العوائق والعقبات التي اعترضت طريقه .

لم يجتمع لكاتب ، او اديب ، او مفكر في العصر الحديث مثلما اجتمع لطه حسين سواء في حياته الريفية، او حياته في الازهر ، او الجامعة .

لقد عانى طه حسين كثيرا مع نفسه ، ومع ابيه ، ومع أهله ، ومع زملائه ، ومع معاصريه .

واستطاع ان يكسب العربية افكارا عصرية ، فابتدع فنا ، وصاغ ادبا ، وكشف منهجا واسلوبا لدراسة الفكر .

وطه حسين لذلك فريد بين كتاب عصره ، ذلك لانه جمع التناقض التي مرت بها الامة ، ولانه عايشها ، وذاق حلوها ومرها ، وعانى من الدراسة التقليدية سواء في الكتاب او في الازهر ، كما تلمس « الجو العقلي » في وطنه وفي الخارج، وتذوق ما يمكن ان يسمى بالمنهج الفكري .

كان عصره حافلا بالتيارات الفكرية والوجدانية والسياسية المتلاطمة ، ومع هذا شق طريقه وسط هذا البحر الهائج ، وراح يصارع الامواج ، فكان عناؤه « تجريبا » لم يتوفر لكثير من معاصريه على هذه الصورة التي تجمع بين الازهر والسوربون .

لم يستقر طه حسين على نظرية معينة من قبل ، او نظرة جاهزة مسبقة تعفيه من مشقة البحث ، ولكنه عانى بنفسه مهمة البحث عما يعتقد انه الصواب ، فكان صادقا مع نفسه ، وكان هذا الصدق اساسا للصدق مع الاخرين .

ومن هنا ، كان الصدق واحدة من اهم صفات طه حسين ، فهو من اكثر كتابنا صدقا . كما انه اكثرهم حديثا عن نفسه وهواجسه ، فكان من اوائل الكتاب العرب الذين مارسوا كتابة السيرة الذاتية .

ولعل كتابه « الايام » الذي يقع في ثلاثة اجزاء يعد واحدا من اعظم كتب السيرة في ادبنا العربي القديم والحديث . وقد ظهر الجزء الاول منه عام ١٩٢٩ ، والجزء الثاني عام ١٩٤٠ ، والجزء الثالث عام١٩٧٢.

وهذا الكتاب يلقى الضوء على مقومات شخصية طه حسين ، وعلى تكوينه النفسي والعقلي والاجتماعي منذ صغره . الى جانب انه يتناول تطور حياته الفكرية والاجتماعية والسياسية .

والى جانب الصدق مع النفس في شخصية طه حسين ، نجد بعض الصفات الاخرى مثل : اخذه لنفسه بالشدة ، وميله الى [illegible] وفي احكام الغير ، وانصرافه عن الكلب ، وخلقه المصاعب لنفسه ، وكرهه للابواب المفتوحة ، وايثاره الطرق الطوال .

وكل هذه الصفات صاحبت طه حسين في رحلته الشاقة من الشك الى اليقين.

كان معجزة عصره ان صح هذا القول ، فهو نابغة ادبنا العربي الحديث ، مما جعله يستحق لقب « عميد الادب » الذي ارتضى كل عربي منا ان يطلق عليه ، تسليما له بانه ينفرد به دون سواه ، لانه ليس بين ادباء عصره من اجتمعت له خصائص طه حسين صاحب الثقافة الواسعة والمؤلفات العظيمة، والدور الرائد في حياتنا الفكرية والادبيةعلى امتداد اكثرمن نصف قرن.

لقد تناول طه حسين في ادبه وفكره البعدالاجتماعي فعندما كان يدير الاحداث ويرسم الشخصيات ويحدد الزمان والمكان ، كان يربط كل ذلك بالبعد الاجتماعي ، فمنه كانت تستمد وجودها الحي وتطورها وصراعها .

ولعل فضل الدكتور طه حسين في مجال الدراسات التاريخية والادبية يعد فضلا كبيرا ، اذ انه اخرجها الى طور حديث يتناسب مع ايقاع العصر وسنة التطور ، بعد ان كانت ترسف في اغلال القديم ، مما جعلنا نجدها بفضله لا تقل خصبا وامتاعا عن نظائرها في الاداب الاجنبية ، ولا سيما الاداب الغربية . ولا نبالغ اذا قلنا

مسافر

مسافر وناقتي
تبحث عن بسمة ماء
لا شيء في حقيبتي
سوى قصائد الرثاء

امشي.. يقودني القمر
الى جزيرة الكروم
واقلب اغنياء السفر
ومل رقصات النجوم

تلهث في دربي الرمال
تبلع زورقي الغريب
والشمس في كهف الظلال
تميل شوقها المغيب

اشتاق كطفل صغير
يجول عالب الشتاء
لكي اتابع المسير
نحو مدينة الضياء

الرباط – المغرب محمد علي الرباوي

ان الجهود العلمية والادبية في جامعاتنا العربية اليوم هي ثمرة من الثمار التي غرسها طه حسين في كافة حقول التعليم والادب والثقافة ..

بالفكر المستقل استطاع طه حسين ان يرسي في حياتنا العقلية والادبية دعائم الحرية باقوى ما تدل عليه هذه الكلمة ، واستطاع – ايضا – ان يبعث في حياتنا نزعة التجديد .

وتحضرني بعض ماثوراته ، حيث يقول :

– لا ادب الا ادب الفصحى ، والذين يستخدمون العامية والتعابير العامية ليسوا واقعيين ، وانما هم عاجزون .

الصحافة الان لا تقود الشعب ، وانما تجري وراءه .

– ليس من الضروري ان ينحط الادب ليصبح شعبيا ، وليس من الضروري ان يبقى الشعب حيث هو جاهلا غافلا يشقى بالخمول والخمود .

كان ابوه يريده ان يصبح عالما من علماء الازهر ، ولكنه اراد لنفسه ان يصبح اديبا ومفكرا ومعلما .. وفي هذا يروي الدكتور طه حسين في كتابه « الايام » على لسان ابيه : « اما في هذه المرة ، فستذهب الى القاهرة مع اخيك ، وستصبح مجاورا وستجتهد في طلب العلم. وانا ارجو ان اعيش حتى ارى اخاك قاضيا واراك من علماء الازهر ، قد جلست الى احد اعمدته ومن حولك حلقة واسعة بعيدة المدى ».

وقد تحققت هذه الحلقة البعيدة المدى لطه حسين، فصارت القاهرة مركزها وصار العلم محيطها ؛ ولكن ليس في المجال الذي تمناه له الوالد .

يقول الدكتور طه حسين في رده على سؤال حول الاضافة التي اضافها الفكر العربي الى الفكر العالمي: « اننا على الاقل قد استطعنا ان نقرأ الاداب الاوروبية، ونحاول تقليدها ، ثم لم نلبث ان تجاوزنا التقليد الى الابتكار ، وطنا الادب العربي القديم : القصص ، والادب المسرحي ، والنقد ، وليس معنى هذا اننا نستطيع ان نستغني من الاداب الاجنبية على اختلاف لغاتها ، فنحن نريد لادبنا العربي ان يكون حيا ، والادب الحي بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة هو الادب الذي ياخذ ويعطي ، وقد مدانا بالاخذ . ثم جعلنا الان نعطي ، وجعلت كتبنا تترجم الى اللغات المختلفة .»

لقد عشنا كتابات طه حسين واعماله ، وسنظل نعيشها ما حيينا .

كان اسلوبه كلاسيكيا يجمع بين البساطة والفخامة والوضوح .. وقد قال في مقدمة كتابه : « جنة الشوك »: « هذا لون من الوان القول لم يطرقه ادباؤنا المعاصرون ولكنه يلائم عصرنا ، فوقتنا قصير ، وعملنا كثير ، وهذه اللحظات التي يتاح لنا فيها شيء من الفراغ للاستمتاع بلذات الادب الخالص والفن الرفيع نادرة ».

اما صوته فكان قويا ، واضحا ، رنانا ، نفساذا ، مؤثرا .. ولا ابالغ اذا قلت انه كان كروان لغتنا العربية الجميلة ، ولئن كان قد كف عن التغريد ، فعلنا نجد السلوى بعد ذلك في تسجيلات الاذاعة .

حقا ، كان الدكتور طه حسين قمة عالية من قمم الفكر الانساني .. وكان هرما من اهرامات اعلام الادب العربي .. وكان بين ادبائه ومفكري عصره يقف كقلعة شامخة في عالم الادب المعاصر .

وسوف يظل اسم طه حسين يتردد في حياتنا الادبية على مر العصور ، بعدد الكلمات التي تضمها مؤلفاته غير القليلة .

وبعد .. هذه كلمة قصيرة عن ادب وفكر طه حسين قائد الثورة الادبية والفكرية في حياتنا المعاصرة .

رحمه الله بقدر ما قدم من اعمال خالدة في تراثنا العربي والانساني في العالم .

القاهرة عبدالرحمن شلش

محمود تيمور

قصتي مع محمود تيمور

بقلم السيد عبدالعزيز الجندي

• • •

عندما اريد ان أوفي استاذنا تيمور حقه ، او بعض حقه، فانني اجد نفسي عاجزا ، لان ما قدمه لي لا يستطيع اي قلم ، ولا تستطيع اي كلمات ان توفيه.

لان ما اعطاه لي فوق قدرة البشر ... او هكذا خيل الي ..

لقد عرفت تيمور بطريق الصدفة ، وكان ذلك منذ حوالي عشرين سنة عندما قرأت له كتابه المعروف « ابو الهول يطير » وقد شد انتباهي ذلك الاهداء الذي كان ينعي به ابنه ... حلقت معه في عالم الخيال ..

ولاول مرة في حياتي بكيت من تأثري بكلمات مكتوبة .. حتى لكان ذلك الراحل المنعي كان ابني انا برغم انني لم اكن قد جاوزت الخامسة عشر من عمري حينذاك ..

ومن ذلك اليوم احببت محمود تيمور دون أن اراه.. اخذت ابحث وانقب عن اي كتاب او مقال له ولفترة طويلة كنت اهرع الى اهداء « ابو الهول يطير » كلما اصابني مكروه ... وكلما زاد حنيني الى البكاء ..

وتوالت الايام والسنون ، وشغلتني الحياة بمشاكلها وهمومها ، ولكني كنت احن للكتابة بين الحين والحين.. احاول ان اعبر عما بداخلي في محاولات صبيانية ..

وفي عام ١٩٧٠ قرأت بطريق الصدفة ايضا اعلانا من « نادي القصة » بموعد المسابقة وشروطها . في ذلك اليوم ، اشتاقت نفسي للكتابة وتملكتني رغبة ملحة للاشتراك في تلك المسابقة ..

وفعلا تقدمت بقصتين قصيرتين ، ومر اكثر من عام لم احاول فيه ان اسأل عن نتيجة المسابقة .. وصراحة توقعت عدم الفوز واتهمت اعضاء اللجنة بيني وبين نفسي بالتحيز والمحسوبية ، وقررت عدم العودة لهذه المسابقة مرة اخرى .

ولكني فوجئت في يوم من الايام بخطاب مسجل من « نادي القصة » يهنئني لفوز قصتي ، ويدعونني للاشتراك في حفل الفائزين وتسلم الجائزة . ولم اشعر بالفرحة في حياتي كلها كما شعرت بها حينذاك .

وعندما توجهت الى « نادي القصة » واطلعت على تقديرات اعضاء اللجنة ، وكان احد اعضائها استاذنا الراحل محمود تيمور ، وجدت تقديره لقصتي (تسع درجات من عشر) وبجوار الدرجة تعليق رقيق اثلج صدري ، وكانت تلك هي اعلا درجه اعطاها تيمور .

ووجدت لزاما علي أن اشكره . وكان ذلك في خطاب ارسلته على عنوان النادي ، وطال انتظاري ولم يصلني رده ، حتى ظننت انني كنت مخطئا حين فكرت انه من الممكن ان يكلف رجل عظيم كتيمور نفسه مشقة الكتابة والرد على انسان لا يعرفه ، ولا تعرفه الاوساط الادبية .

وخاب ظني مرة اخرى ، عندما جاءني اول خطاب منه على وحدتي ـ بالقوات المسلحة ـ يفيض بشرا وحبا وتقديرا ، واعتذارا لتأخره حيث كان في سويسرا ..

وبعد ايام حمل الي البريد احدث مؤلفاته « قال الراوي » وعليه اهداء بخط يده بـ (عزيزي الاديب الناشئ ...)

ولم تنقطع صلة المراسلة بيني وبين سيادته بعد ذلك ، وفي كل مرة كان رحمه الله حريصا على ان يهديني كتابا ، او اثنين .. حتى دون ان اطلب منه ذلك ..

وفي العام الماضي ارسلت له خطابا ، وجاءني رده من الاسكندرية ومعه كتابان ، ولاول مرة منذ ان عرفته يخبرني بمرضه ، ويشكو من هذا المرض بصورة اعتذار لاختصار خطابه على غير عادته معي ..

اخبرني انه لم يجد معه من يملي عليه رد خطابي فكتبه بيده .. وهو يعاني من المرض ، ورأيت ذلك واضحا ملموسا في كلماته المرتعشة ..

بكيت في ذلك اليوم ، وابتهلت الى الله عز وجل عقب كل صلاة بعد ذلك ان يمن عليه بالشفاء .. ويهبه الصحة من اجلي ، ومن اجل المئات غيري بل ومن اجل مصر ..

اذكر انني (دردشت) معه في خطاب مرة وقلت له « انني اريد ان ازور مكتبتك ، واسبح فيها وحدي بلا دخيل .. بشرط ان تكون انت معي لتنتشلني من بين امواجها اذا اشرفت على الغرق ».

وظلت هذه الدعابة في ذاكرته شهورا طويلة ، حتى قبل سفره الاخير الى سويسرا بايام ... عندما كنت في

الى وردة القلب

★

يا وردة بالعين تقطف
لم الق عمري منك ألطف
هاتي لي الثغر المعنبر
والمبرعم والمشفوف
لازقه قبلا فاشفي
القلب منه وهو متلف
يا وردتي الفيحاء كم
اني احبك انت اعرف
والله لـن الـمح حياتي
يا حياتي.. منك الطرف

زحلة ـ لبنان — رياض المعلوف

« نادي القصة » مع الاخ الاديب رستم كيلاني ، كان حديثنا كله حول صحة استاذنا تيمور ، واحواله ونشاطه، وسفره ايضا واذا بهاتف النادي يدق ، واذا بوجه الاخ (رستم) يفيض بشرا وهو يشير لي بيده اثناء حديثه (بالتليفون) بان المتحدث هو استاذنا تيمور .

وقبل ان يكمل حديثه قال له عبر الاسلاك «سأترك السماعة الان لاحد احبابك » واعطاني السماعة ... فاخذت اسأل عن صحته واحواله .. واعد وادعو بالخير .. ثم شكرته على الكتابين اللذين ارسلهما لي مع الاخ رستم كيلاني .

ودون ان اذكر له اسمي .. سمعته يقول بصوت كله بشر وترحيب : « اذا انت السيد عبد العزيز الجندي ..» ولم يترك لي فرصة الكلام ، ولكنه ظل يتحدث معي طويلا عبر لي بشوقه .. وحبه ، وتقديره، وترحيبه لي في بيته في اي وقت اشاء .. وعندما سألته عما اذا كان خطابي الاخير قد وصله .. اذا به يقول ضاحكا « وصلني خطابك .. وعندما تحضر سأفتح عليك باب المكتبة لتعوم فيها كما تشاء ، ولا تنسى ان تحضر معك احد الحمالين ليحمل لك ما تريده منها».

ولا ادري في ذلك اليوم ، لماذا تذكرت ابي وامي.. وكل عزيز لدي ممن توفاهم الله .. القلب الظن انني كنت اقارن بين كل هؤلاء قبل رحيلهم ، وبين هذا الرجل العظيم الذي رجحت كفته من هؤلاء جميعا ..

وسافر تيمور .. وكنت ابحث دائما عن اي خبر عن صحته في اي جريدة او مجلة ومن اي انسان من احبائه ..

ولم استطع صبرا فعزمت ان اعرف عنوانه في سويسرا لاطمئن عليه من هناك .

وفي الصباح .. استيقظت مبكرا على غير العادة، فاذا بي اسمع من المذياع الذي نسيته مفتوحا بجواري قبل نومي كلمات تقول « محمود تيمور مات في سويسرا».

كان الصوت انثويا رخيما .. فاذا به يصل الى اذني عند سماع هذه الجملة كقصف الرعد ..

واذا بي انتفض من نومي واقفا فزعا .. انتظرت اية تفصيلات من (الراديو) ولكن المذيعة لم تزد على ذلك شيئا ..

وعندما احسست بالدموع تنهمر من عيني ،قمت وذهبت الى حجرة اخرى ، لكي لا يرى اطفالي دموعي ، وظللت ابكي ، وانتحب ، وانشنج ..

وفي وسط تلك الانفعالات تراءى لي من بعيد بصيص من امل .. فقلت في نفسي (قد يكون ما سمعته خطأ .. ربما تكون الجملة التي سمعتها هي محمود تيمور عاد من سويسرا) كنت كالغريق الذي يبحث عن قشة يتشبث بها .

ولكن .. ما قدر الله قد كان ..

عزيزي .. واستاذي.. ووالدي تيمور ..

لقد مات ابن لك في نفس المدينة التي لحقت به فيها ، وما زلت اذكر كلماتك المأثورة في احدى كتبك لابنك الراحل :

« يا بني .. انني ازمع السفر ، ولا تسرية عن النفس ، ولا التماسا للفضول ، ولكن لارافق شخصا عزيز المكانة في قلبينا ، يلتمس الشفاء في تلك البلاد القاصية ، اما كان احرى ان تكون انت مكاني .. نزمع هذا العزيز في غربته وتضمني مكانك اتوسد الثرى عنك.. قسما يا بني ما كنت لاطلب من الله امنية اجل من تلك. ولكن الله يسير الاقدار وفق مشيئته التي تسلم لها القيادة .. وان كانت عقولنا القاصرة تعيا عن ادراك ما في هذه الاقدار من مرمى وما لها من مغزى ..» .

انني اقولها لك الان « ليتني مكانك اتوسد الثرى عنك » .

قد لا يصدق الناس ذلك .. لانهم ما زالوا في عالم الفناء ..

ولكنني اوجهها لك انت .. بعد ان تركتنا الى دار البقاء حيث لا غش .. ولا ظلم .. ولا رياء ..

سأظل اشمك طيبا من كتبك ورسائلك التي ستحتل ركنا خاصا في مكتبتي المتواضعة ..

اما صورتك .. فستظل ماثلة في سويداء قلبي تنبض معه بالحياة ما دام ينبض بالحياة ..

وسأذكرك يا تيمور ما حييت .. وأسأل الله من له ملكوت السموات والارض ان يتغمدك برحمته .. ويدخلك فسيح جناته .. وان يجزيك عنا خير الجزاء..

كما اسأله جل شأنه ان يلهمنا جميعا الصبر والسلوان .. انه سميع قريب مجيب الدعاء..

القاهرة — السيد عبدالعزيز الجندي

شاهدت باب حديقة المنزل، المصنوع من بضع صفائح خفيفة مركبة على شبكة من العوارض الخشبية ، يرتطم بمسنده ، وكان الهواء، اللي يداعب اوراق الشجر لا ينى يرده الى الخلف ، فيحدث صريرا منتظما، كما شاهدت الوصلة التي تربط الباب مقطوعة .

وفيما كنت احاول التقاط الوصلة، سمعت ما يشبه الهمس والكلام الناعم ، اقتربت من الجدار الفاصل بيننا وبين الجيران الذين تكن لهم محبة ، فسمعت صوتا يقول :

ــ احبك حتى الموت يا فائز !

لم اسمع اي تعليق من فائز على هذا التصريح ، وانما بدا لي ان صوتا يشبه القبلة ، انبعث عوضا عن ذلك، صمدت ، في حذر ، على كلاليب باب الحديقة المائل، كما يفعل اخوتي الصغار حينما يطلون على بيت الجيران اثناء لهوهم ، فوقعت عيناي على مشهد يشبه لقطة من فيلم روميو وجولييت ، اثناء لقائهما على سور القصر .

كان فائز هذا ، ممتدا على سور الحديقة ، وشعره يخفي كافة انحاء وجهه ، بينما كانت ابنة الجيران، التي لم يظهر منها الا رأسها ، واقفة من الخلف ، على شيء مرتفع ، ووجهها النضر قبالة وجهه . قال لها:

ــ وانا احبك ايضا حتى الموت !

ــ متى نتصور سوية ؟

ــ غدا ، كما قلت .

وسكتت المحادثة قليلا ، ثم سمعتها تقول :

ــ وهل ستزورنا اختك ، مساء الغد ؟

ــ اجل ، وستتعرف عليك وعلى والدتك .

اخذ قلبي يخفق بشدة ، كما شعرت بانني لو اطلت في وقفتي ، فان اعصابي ستنهار ، وحدثت ، اثناء نزولي الى الارض ، جلبة القت الرعب في قلب فائز ، فشاهدته يقفز على الارض ويولي الادبار ، وكأنه يريد النجاة بحياته، وكان قد اتى على دراجة نارية فشغلها واخذ يشق بها عباب الهواء، ويتوارى في الظلام .

ناديت من خلف الجدار ، بصوت خفيض :

ــ شكرية ! شكرية !

ثم صعدت برميلا عتيقا ، ظهر فيما بعد انه مرتكز على حجيرات غير متماسكة وبعض قطع من الدف. فرايت شكرية ترتد نحوي ، في جراة غير متوقعة ، وتقول لي :

ــ ماذا تريد ؟

قلت :

ــ انت التي كنت تقولين لفائز، انني احبك حتى الموت ؟

ــ نعم ، وماذا في ذلك ؟؟

حب ولد ميتاً

بقلم عبد الرحمن البيك

ــ اولم تقوليها لي قبله يا شكرية ؟!..شكرية، اريد ان اعرف، اتحبينني ام لا ؟

ــ لا !

ــ ولم ؟

ــ لان كل شيء لم يعد متجانسا بيننا ، فعندك صفات لم اعد استحبها !

ــ مثل اي شيء ؟

اجابت بعد تردد :

ــ مثل اسمك !!

ــ وما الفرق بالاسماء ؟ هل انت صغيرة العقل ؟!

ــ قل لي ، ما هو معنى «بكري»؟!

ــ مجرد اسم قديم .

ــ هذا .. يكفي .

ــ ثم ، ماذا غير ذلك ؟

ــ غير ذلك ! انت تحلق حلاقة قروية غير صالحة لشيء .

ــ وما علاقة الحلاقة بالحب ؟ هل الحب مقصور على الي الشعور المسدلة حتى اعناقهم ؟

ــ ان شيئا ما ، بدأ يجعلني اشعر ان هناك صلة بين الحب ، والمظاهر العصرية !

ــ انت مخطئة ، فالحب قديم ، ولا يتغير بتغير المظاهر .

ــ انت تريد ان تقول ، بان هناك حبا على الطريقة القديمة ، لتبرير طريقتك في هذا الحب الذي تظهره لي ، والذي لا اشعر بوجوده.

ــ شكرية ... ماذا دهاك ؟ يوم امس ، كنت عندنا تلعبين مع اخوتي الصغار ، في باحة الجنينة .

ــ هذا صحيح ، ولكنني كنت اتحين الفرصة لمصارحتك .

ــ الان ، ماذا ترين ان نفعل ؟.. هناك هدايا واشياء قدمناها اليك بمناسبة خطوبتي لك .

ــ سأطلب من والدي اعادتها اليك وينتهي الموضوع .

ــ وماذا عن قطع الاقمشة التي احضرتها اليك من بيروت ، وقصصتها ؟

ــ استهلكت ، ولم يعد بالامكان اعادتها !

ــ لا ... فانتم ملزمون بتعويض قيمتها لنا ، وانا الفت نظرك الى ضرورة اعادة التمال البلاستيكية التي وزعتها على شقيقاتك وبناتهن.

ــ الى هذا الحد انت تدقق معنا!

ــ وما الذي يمنعني من ذلك ؟ هل نسيت انك دققت في اسمي فلم يعجبك ، وفي طراز حلاقتي فلم يرق لك ؟!

ــ يا لك من شاب تسأل عن مصير هدايا تافهة ، ولا تحس بالفاجعة

الزعيم

ان الزعيـــم هـــو الفـادي رعيته   بالروح ، لا بالبيان الفذ ، والخطب

ان الزعيم هـــو البانـي معاقلـه   بساعد ، ليس يشكو وطـأة النصب

والساهر الليل ، يرعى فيـــه امته   وليس يقعد عن سعي وعـــن دأب

والباسط الكف ، حتى لا يجوع فتى   وان طوى ليله فـي قبضة السغب

واللابس الحلم فضفاضا ، تخر لـه   شم الجباه خشوعا مسبل الهـدب

والمالك اللب ، ان خطب دعى وطمى   فليس يغرق في بحـر مـن الريب

يصرف الامر في حزم ، وفي ثقـــة   بالنفس ، جلت عـن الاذعان للنوب

محمد العدناني

التي انتهى اليها هذا الحب الـذي تتصوره بطريقتك الخاصة !

ـ ان لتلك الهدايا قيمة ، اريـد استردادها فورا ، ولو امكنـني لطالبتك بقيمة البطيخ الاحمر الذي اهديتكم اياه ، بمناسبة نجاح شقيقك ماهر .

ـ هذا برهان على ان الحـب عندك قشرة رقيقة !

ـ انت التي جعلته كذلك .

ـ انت ، كنت ستعجز عن دفع قيمة « الاملاك » والمهر !

ـ من قال ذلك ؟ لقد اصبح لدي في صندوق الدكان وفر كبير .

ـ صندوق الدكان !! لقد كـان اتفاقنا على الزواج غلطة .

ـ اعتقد ان فائزا ، صاحب الدراجة النارية ، يملك القدرة على دفـع المهر الذي تتوهين عنه ؟ .

ـ ان المهر عند فائز ، هو قلبه .

ـ شكرية ، انت تعلمين كم ابذل من جهد واعاني من مشقة ، مـن اجل تثبيت اقدامي في الســوق ، ومن اجل زيادة وفر صندوق الدكان وعلى كل ، فاننا بعد نجاحك ، ان شاء الله ، في « البكالوريا » مباشرة سوف امكن من دفع قيمة الاملاك والمهر .

ـ لم يبق على الفحص ، سوى شهر واحد ، كما تعلم .

ـ اتمنى ان اقرأ اسمك فـي الجريدة .

ـ اسمع يا بكري ، انت اصبحت بعـد وفاة والدك مسـؤولا عن اخوتك ومن الدكان ... لذلك فانه لم يعد باستطاعتك ان تتنصل من المسـؤولية ، ولو فعلت لتسببت في تحطيم حياة اخوتك الصغار الـذين يحتاجون لرعايتك .

ـ سامحك الله ، لقد تصورت ان تمحق وفاة والدي الحب فـي قلبك ، فتصبحين عونا لي في هـذه الحياة . ولكنك ، ويا للاسـف ، تخاذلت واخترت السلامة ، لما فيه مصلحة نفسك ، ان ما تسيرين على هديه يا شكرية ليس هو الحـب ، وانما هو شيء آخر .

ـ لقد تغير كل شيء .

ثم سكتت قليلا ، واضافت :

ـ وانتهى كل شيء .

ـ ان الظروف هي التي اختارت لي هذا الطريق ، ليس علي من ذنب ، فانت تتابعين دراستك في اطمئنان ، بينما انا اشق طريقي في هـذه الحياة ، في خوف ووجل .

ـ شيء يدعو للاسف !

توقعت من شكرية ، ذات الاسم الجميل ، ان تذرف حفنة من دموع ، تكريما لهذا الشيء الـذي بدا لهـا انه لم يكن حبا يربط بيننا ، ولكنها لم تفعل ، بل اكتفت بان اطرقـت برأسها قليلا ، ثم قفلت راجعـة بعد ان تناولت كتابا ، كانت تتظاهر بالمطالعة فيه تحت ضوء معلق فـي دالية العنب ، حينما صفر لها فائز بعد منتصف تلك الليلة .

في تلك الاثناء ، اخذ البرميـل العتيق الذي كان مرتكزا على حجيرات غير متماسكة وبضع قطع من الدف ، يهتز ، فهويت على الارض ، فوق ساعدي التي احسست لاول وهلـة انها انكسرت .

حملت نفسي الى الغرفة المعتمة التي خرجت منها لاحكم غلق بـاب الجنينة ، ثم اندسست في فراشي ، اداري الالام المختلفة التي اخـذت تجتاحني ... راقبت السماء مـن خلال النافذة ، فاذا ضوء القمر ينعكس على اوراق الشجر وعلى كل شيء في الحديقة وحتى على الجدار الذي يفصل بيننا وبين بيت الجيران الذين تكن لهم كل محبة .

حلب   عبدالرحمن البيك